المختصر
في السيرة النبوية
تأليف
موسى بن راشد العازمي
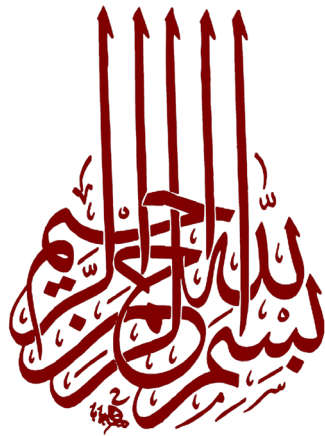
النَّسَب النبوي الشريف

هو مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله بْنِ عَبْدِ المُطَّلب بْنِ هَاشِم بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَيٍّ بْنِ كِلاَب بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعب بْنِ لؤَيٍّ بْنِ غالِب بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِك بْنِ النَّضْر بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إلْيَاسَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ.

ذكَر هذا النَّسَبَ النبويَّ الشريفَ الإمامُ البخاريُّ في صحيحه[(١)]، وهذا القدرُ مِن نَسَبه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متَّفق عليه بالإجماع، نقَل الإجماعَ على ذلك الإمامُ النوويُّ[(٢)] والحافظُ ابنُ كَثير[(٣)] والإمامُ ابن القيِّم[(٤)] وغيرُهم.

قال الحافظ ابن كَثير: وهذا النَّسَب الذي سُقناه إلى «عَدْنَانَ» لا مِرْيَةَ فيه ولا نِزاع، وهو ثابت بالتواتُر والإجماع[(٥)].

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب: مبعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
(٢) انظر: تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٩٢).
(٣) انظر: الفصول في سير الرسول (ص ٣٤).
(٤) انظر: زاد المعاد (١/ ٥٣).
(٥) انظر: الفصول في سير الرسول (ص ٣٤).

ولادة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1] ورَضَاعه

وُلد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم الإثنين[2] من شهر رَبيع الأول من عام الفِيل.

روى الإمام مُسْلم في «صحيحه» عن أبي قَتَادة الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عن صوم الإثنين، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فيه وُلِدْتُ، وفيه أُنزِلَ عَلَيَّ»[3].

واختُلِف في تحديد يوم الإثنين من شهر رَبيع الأول الذي

---

(١) وُلِدَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتيم الأب، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾﴾.

وروَى الإمام مسلم في صحيحه (رقم الحديث ١٧٧١/ ٧٠) عن ابن شهاب قال: ولَدَت آمِنَةُ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعدما تُوُفِّيَ أبوه.

(٢) قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٢/ ٦٦٢): وهذا ما لا خلاف فيه أنه وُلِدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم الإثنين.

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب: استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر (رقم ١١٦٢/ ١٩٨).

وُلِدَ فيه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فالجمهور على أنه يومُ الثاني عشَر من شهر رَبيع الأول[(١)] واقتَصَر عليه ابن إسحاق في «السيرة»[(٢)].

وروَى الإمام أحمدُ والتِّرمِذيُّ، بسند حسن، عن قيس ابن مَخْرَمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: وُلِدَتُ أنا ورسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عام الفِيل[(٣)].

وروَى الحاكم في «المستدرَك» بسند حسن عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: وُلِدَ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عام الفيل[(٤)].

---

(١) قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٦٦٣): هذا هو المشهور عند الجمهور، والله أعلم.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (١/ ١٩٥).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (رقم ١٧٨٩١) والترمذي في جامعه، كتاب المناقب، باب: ما جاء في ميلاد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (رقم الحديث ٣٩٤٧) وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. وذكره الإمام الذهبي في «السيرة النبوية» (١/ ٣٣) وقال: إسناده حسن.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب تواريخ المتقدِّمين من الأنبياء والمرسَلين، باب: أخبار سيد المرسَلين محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (رقم الحديث ٤٢٢٥).

أرضَعَت آمِنَةُ بنتُ وَهْبٍ ولَدَها رسولَ الله ﷺ أيامًا، وكانت قليلة اللبَن، ثم أَرْضَعَتْه ثُوَيبة مَوْلاة أبي لهَب، وذلك قبل أن تَقْدَم حَلِيمة السَّعْدية.

روَى الشيخان في صحيحَيهما عن أم حَبيبة بنت أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: قالت لرسول الله ﷺ: إنّا نُحدَّث أنك تريد أن تَنكِح بنتَ أبي سلَمة! فقال ﷺ «بنتَ أُمّ سلمة»؟ قلت: نعم. فقال رسول الله ﷺ: «لو أنها لَمْ تكُنْ رَبيبَتِي[1] في حَجْري مَا حَلَّتْ لِي، إنها لَابْنَةُ أَخِي من الرَّضَاعَةِ،أَرْضَعَتْنِي وَأَبَا سَلَمَةَ ثُوَيْبَةُ، فَلاَ تَعْرِضْنَ عَلَيَّ بَنَاتِكُنَّ وَلاَ أَخَوَاتِكُنَّ»[2].

❋❋❋

---

(١) الربيب: ابن امرأة الرجل من غيره. انظر: لسان العرب (٥/ ٩٨).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب (٢١) رقم الحديث (٥١٠١) ومسلم في صحيحه، كتاب الرَّضاع، باب: تحريم الرَّبيبة وأخت المرأة (رقم الحديث ١٤٤٩/ ١٥).

رَضاعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بادِيَة بني سَعد

ثم أَرضَعَت حَلِيمة السَّعدية رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بادية بني سَعد بن بَكر، وأقام عندها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سنَتَين حتى فَطَمَتْه، ثم إنها طَلَبَت من آمِنَةَ بنت وَهْب أن يَبقَى عندها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وذلك لمَّا رأت البركات التي ظهَرَت في غنمها وأرضها.

قالت حَلِيمة السَّعدية: فلَم نَزَل نَتعرف من الله الزيادة والخير، حتى مَضَت سَنَتَاه وفَصَلْتُه[1] فكان يَشِبُّ شبابًا لا يَشِبُّه الغِلمان، فلم يبلُغ سَنَتَيه حتى كان غلامًا جَفْرًا[2].

---

(١) فصَلَت المرأة ولَدَها: فَطَمَته. انظر: لسان العرب (١٠/ ٢٧٣).

(٢) استَجْفَر الصبي: إذا قوي على الأكل. انظر: النهاية (١/ ٢٦٨).
وأخرج ذلك ابن حبان في صحيحه (رقم الحديث ٦٣٣٥) وابن إسحاق في السيرة (١/ ٢٠١) وإسناده منقطع، وللقصة شواهد كثيرة ثابتة.

حادث شقّ صدره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشريف

وبينما رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَلعب مع الغِلمان في بادية بني سَعد، إذ جاءه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ومعه ملَك آخر، فشَقّ عن صدره الشريف.

روَى الإمام أحمد في «مُسنَده» والحاكم في «المُستَدرَك» - بسند حسن بالشواهد - عن عُتبة بن عبدٍ السُّلَمي قال: إن رجلًا سأل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَيْفَ كَانَ أَوَّلُ شَأْنِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كانت حاضِنَتي من بني سَعدِ بن بكرٍ، فانطَلَقتُ أنا وابنٌ لها في بَهم[1] لنا، ولم نأخُذْ معنا زادًا، فقلتُ: يا أخي، اذهَبْ فأْتِنَا بزادٍ من عند أُمِّنا، فانطلَق أخي، ومَكَثتُ عند البَهم، فأقبَلَ طَيْران أَبيَضان كأنَّهما نَسْرَان، فقال أحدُهما لصاحبِهِ: أهو هو ؟ قال: نعم.

(١) البَهْم، بفتح الباء وإسكان الهاء، جمع بَهْمة: وهي ولد الضأن، الذكر والأنثى. انظر: النهاية (١/ ١٦٥).

فأَقْبَلا يَبتَدِرَانِي[١] فأَخَذانِي فبَطَحانِي إلى الْقَفَا، فشَقَّا بطني، ثمَّ استَخرَجا قلبي فشَقَّاه، فأَخرَجا منه علَقتَيْن[٢] سَوْداوَيْن، فقال أحدُهما لصاحِبه: حُصْهُ - يعني خِطْهُ - فحاصه وختَم عليه بخاتم النُّبوَّةِ ... ثمَّ انطَلَقا وترَكاني، وفَرِقْتُ فرَقًا شديدًا، ثمَّ انطَلَقتُ إلى أمِّي[٣] فأخبرتُها بالَّذي لَقيته، فأشفَقَتْ عليّ أن يكونَ أُلبس بي، فقالت: أُعيذُك بالله! فرَحَلَتْ بعيرًا لها فجَعَلتْني على الرَّحْلِ ورَكِبتْ خلفي، حتَّى بلَغْنا إلى أمِّي[٤] فقالت: أدَّيْتُ أمانتي وذِمَّتي. وحدَّثتُها بالَّذي لقيتُ، فلم يرُعْها[٥] ذلك، وقالت: إنِّي رأيتُ خرَج منِّي نورٌ أضاءت منه قصورُ الشَّامِ[٦].

---

(١) بدَرْتُ إلى الشيء: أَسرَعْت. انظر: لسان العرب (١/ ٣٤٠).

(٢) العَلَقة: الدم الجامد. انظر: جامع الأصول (١٠/ ١١٤).

(٣) هي حَلِيمة السَّعدية.

(٤) هي آمِنَة بنت وَهْب.

(٥) فلم يَرُعْها: يعني لم يُفْزِعها. انظر: النهاية (٢/ ٢٥٢).

(٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (رقم الحديث ١٧٦٤٨) والحاكم في المستدرك (رقم الحديث ٤٢٧٦) وذكره الإمام الذهبي في «السيرة النبوية» (١/ ٥٢) وقال: هو صحيح.

وروى الإمام مسلم في «صحيحه» عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ، فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً، فَقَالَ: هذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ. ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ لأَمَهُ[1] ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ، وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ - يَعْنِي ظِئْرَهُ -[2] فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ! فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ[3] اللَّوْنِ. قَالَ أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ الْمِخْيَطِ فِي صَدْرِهِ[4].

❊❊❊

---

(١) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٢/ ١٨٧): أمّا «لَأَمَهُ» فبفتح اللام وبعدها همزة، على وزن «ضربه» ومعناه: جمَعَه وضَمّ بعضَه على بعض.

(٢) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٢/ ١٨٧): ظِئْره، هي بكسر الظاء المعجمة بعدها همزة ساكنة: وهي المُرضِعة.

(٣) منتقِع: متغيّر. انظر: النهاية (٥/ ٩٥).

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: الإسراء برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى السماوات (رقم الحديث ١٦٢/ ٢٦١).

وفاة آمِنَةَ بنت وهب أُمّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

رجَع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد حادثة شَقّ الصدر إلى أُمّه آمِنَةَ بنت وَهْب، فلما بلَغ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من عُمره المبارَك سِتَّ سِنين، ذهَبَت به أُمّه آمِنَة تَزُور أخوال جدِّه عبدالمطَّلِب في يَثْرِبَ، وهي المدينة النبوية، وفي طريق عودتهم إلى مكة تُوُفِّيَت آمِنَة بنت وَهْب في منطقة الأَبْواء، وهي بين مكة والمدينة[1].

قال الإمام ابن القيم: ولا خلاف أن أُمّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ماتت بين مكة والمدينة بالأبْواء، مُنْصَرَفَها من المدينة، من زيارة أخواله، ولم يَستكمِل إذ ذاك سَبْع سِنِين[2].

❊❊❊

(١) انظر: سير ابن هشام (١/ ٢٠٤).

(٢) انظر: زاد المعاد (١/ ٦٠).

كَفَالة جدِّه عبدالمطَّلِب

تولَّى عبدالمطَّلِب جَدُّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَفَالة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعدما تُوُفِّيَت آمِنَة بنت وَهْب أُمّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واستمرت كَفَالته لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَنَتَين، وقذَف الله حُبَّ رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قلب جدِّه عبدالمطَّلِب، حتى ما كان يُفارقه.

روَى الحاكم في «المُستدرَك» بسند حسن، وصححه عن كِنْدِير بن سعيد، عن أبيه، قال: حجَجْتُ في الجاهِلِيَّةِ، فإذا أنا برجلٍ يَطُوفُ بالبيتِ، وهو يرتَجِزُ ويقولُ:

رَبِّ رُدَّ إليَّ راكِبِي محمـــــدًا

رُدَّهُ إلـي واصطـنِـعْ عِـنـدِي يَـدَا

فقلتُ: مَنْ هذا؟ قالوا: عبدُ المطَّلِبِ بنُ هاشم، بعَث بابنِ ابنِه محمدٍ في طلَبِ إبلٍ له، ولم يَبْعَثه في حاجَةٍ إلاّ أَنجَحَ

فيها، وقد أبطَأ عليه، فلم يَلْبَث أن جاءَ محمدٌ والإبلُ، فاعتَنَقَه وقال: يا بُنَيَّ، لقَدْ جَزِعْتُ علَيْكَ جَزَعًا لم أَجْزَعه عَلَى شَيْءٍ قطُّ، واللهِ لا أَبعَثُك في حاجة أبدًا، ولا تُفارِقُنِي بعد هذا أَبَدًا[1].

وفاة عبدالمطَّلِب

ولما بلَغ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثمانِيَ سنواتٍ تُوُفِّيَ جدُّه عبدالمطَّلِب، وقَبْلَ وفاته أَوصَى ابنَه أبا طالب بحِفظِ وكَفَالة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. والسبب في اختياره لأبي طالبٍ؛ لأنه شقيق «عبدالله» والِدِ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

***

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (رقم الحديث ٤٢٢٩).

كَفَالة عمِّه «أبو طالب»

تولَّى أبو طالب كَفَالة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكان عُمره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثمانِيَ سنوات، وظلَّت كَفَالته ورعايتُه وحمايتُه له إلى أن بُعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فحَاطَه أتَمَّ حِيَاطة، ونصره حين بعثه الله أعَزَّ نصرٍ.

فلما بلَغ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثِنْتَي عَشْرَةَ سَنَةً خرَج به عمُّه أبو طالب إلى الشام، وذلك من تَمَام لُطف أبي طالب برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعَدَم مَن يقُوم به إذا ترَكه بمكة.

وفي طريق هذه الرحلة رآه بَحِيرَى الراهب، فعَرَفه بصِفته في التوراة والإنجيل، وظَهَرَت لمَن كان مع أبي طالب من الآيات في رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما زاد أبا طالب في الوَصَاة به والحرص عليه، وأمر بَحِيرَى أبا طالب أن يَرجِع برسول الله

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لئلَّا يَراه يهودُ في الشام، فيَعرِفوه ويَقتُلوه فرجَع به إلى مكة[1].

❋❋❋

(١) أخرج قصته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع بَحِيرَى الراهب: الإمام الترمذي في جامعه، كتاب المناقب، باب: ما جاء في بدء نبوة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (رقم الحديث ٣٩٤٨) وحسَّنه، وصحَّحه الحافظ في الإصابة (١/ ٤٧٦) والحافظ ابن كثير في «الفصول في سيرة الرسول» (١/ ٤٩-٣٣٨) والحاكم في المستدرك (رقم الحديث ٤٢٧٥) والألباني في كتابه «دفاع عن الحديث النبوي» (ص ٦٢-٧٢).

شهوده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِلْفَ[1] الفُضُول

شَهِد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِلْف الفُضُول وهو ابن خمسَ عَشْرَةَ سَنةً، وسبب تَسميتهم هذا الحِلْف بهذا الاسم ما ذكَره ابن إسحاق في «سيرته»:

تَدَاعَت قبائل قريش على حِلْف، فاجتَمَعوا في دار عبدالله بن جُدعان بن عمرو؛ لشَرَفه وسِنِّه، فكان حِلْفُهم عنده: بنو هاشم، وبنو المطَّلِب، وأسَد بن عبدالعُزَّى، وزُهْرة بن كِلَاب، وتَيْم بن مُرّة، فتعَاقَدوا وتعَاهَدوا على ألَّا يَجِدُوا بمكة مظلومًا من أهلها وغيرِهم، ممّن دخَلها من سائر الناس، إلا قاموا معه، وكانوا على مَن ظَلَمَه حتى تُرَدّ عليه مَظْلَمَتُه، فسَمَّت قريش ذلك الحِلفَ حِلْفَ الفُضُول[2].

ورَوَى ابن إسحاق في «السيرة» بسند صحيح مُرسَل،

---

(١) أصل الحِلْف: المعاقدة والمعاهدة على التعاضد والتساعد والاتفاق. انظر: النهاية (١/ ٤٠٧).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (١/ ١٧٠).

عن طلحة بن عبدالله بن عوف الزهري، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ شَهِدْتُ فِي دَارِ عَبْدِ اللهِ بْنِ جُدْعَانَ حِلْفًا، مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهِ حُمْرَ النَّعَمِ، ولَو أُدْعَى بِهِ فِي الْإِسْلَام لَأَجَبْتُ»(١).

وروَى الإمام أحمد في «مُسنَده» والبخاري في «الأدب المُفرَد» بسَنَد صحيح عن عبدالرحمن بن عوف رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «شَهِدْتُ حِلْفَ الْمُطَيَّبِينَ(٢) مَعَ عُمُومَتِي، وَأَنَا غُلَامٌ، فَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي حُمْرَ النَّعَمِ وَأَنِّي أَنْكُثُهُ»(٣).

---

(١) أخرجه ابن إسحاق في السيرة (١/ ١٧١) وأورده ابن الملقِّن في «البدر المنير» (٧/ ٣٢٥) وقال: هذا الحديث صحيح. وقال الألباني في تحقيقه لفقه السيرة للغزالي (ص ٧٢): رواه ابن إسحاق في السيرة، وهذا سند صحيح، لولا أنه مرسل، ولكن له شواهد تقويه.

(٢) قال ابن الأثير في النهاية (٣/ ٤٠٨): إنما سَمَّى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِلْفَ الفُضُول بالمُطَيِّبين، مع أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يَشْهَد حِلْف المُطيَّبين؛ لأنه كان شبيهًا به في التناصح، والأخذ للضعيف من القوي، وللغريب من القاطن.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (رقم الحديث ١٦٥٥) والبخاري في الأدب المفرد (رقم الحديث ٤٤١).

رَعْيُ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ الغنم

عَمِل رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في شبابه برَعي الغنم، وذلك قبل بعثته.

روَى الإمام البخاري في «صحيحه» عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ عن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ» فَقَالَ أصحابه: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ[1] لِأَهْلِ مَكَّةَ»[2].

وروَى الإمام البخاري في «الأدب المُفرَد» بسند صحيح عن عَبْدَةَ بن حَزْن رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: تَفاخَرَ أهل الإبل وأصحاب الشاءِ، فقال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «بُعِثَ موسَى وهوَ راعِي غَنَمٍ، وبُعِثَ داود وهوَ راعِي غَنَمٍ، و بُعِثْتُ أنا وأنا أَرْعَى

---

(١) القراريط: جمع قيراط، وهو جُزء من أجزاء الدينار. انظر: النهاية (٤/ ٣٧).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الإجارة، باب: رعي الغنم على قراريط (رقم الحديث ٢٢٦٢).

غنمًا لِأَهْلِي بأَجْيَادٍ»[١].

قال الحافظ في «الفتح»: قال العلماء: الحكمة في إلهام الأنبياء مِن رَعْي الغنم قبل النبوة:

١) أن يحصُل لهم التمرُّن برَعْيها على ما يُكَلَّفُونه من القيام بأمر أُمّتهم.

٢) ولأن في مخالطتها ما يُحصِّل لهم الحلم والشفقة، لأنهم إذا صبَروا على رَعيها، وجَمْعها بعد تفرُّقها في المَرعى، ونَقْلِها مِن مَسرَح إلى مَسرَح، ودَفْعِ عدوِّها مِن سَبُع وغيره، وعَلِموا اختلاف طِباعها وشِدَّة تفرُّقها، مع ضَعفها واحتياجها إلى المعاهَدة، أَلِفُوا من ذلك الصبر على الأُمّة، وعرَفوا اختلاف طِباعها وتفاوُتَ عقولها، فجَبَروا كَسْرَها، ورَفَقوا بضَعيفها، وأحسَنُوا التعاهُد لها، فيكون تحمُّلُهم لِمَشقّة ذلك أسهَلَ مما لو كُلِّفوا القيام بذلك مِن أول وَهْلة؛ لِمَا يحصُلُ لهم من التدريج على ذلك برَعي الغنم.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب المفرد - رقم الحديث (٤٥٠).

٣) وفي ذِكْر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لذلك،** بعد أن عَلِم كَوْنه أكرَمَ الخلق على الله، ما كان عليه من عظيم التواضع لربه، والتصريح بِمِنَّته عليه وعلى إخوانه من الأنبياء، صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الأنبياء[١].

(١) انظر: فتح الباري (٥/ ٢٠٠).

﴿ خروجه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تجارة خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وزواجه بها ﴾

ولما بلَغ رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خمسًا وعشرين سنة مِن عُمره المبارك، خرج إلى الشام في تجارة لخديجة بنت خُوَيلد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مع غلامها مَيْسَرة، فرأى مَيْسَرة ما بَهَرَه من شأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فرَجَع وأخبَر سيدته خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بما رأى، فرَغِبَت في الزواج منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وذلك لِمَا رَجَت في ذلك من الخير الذي جمَعه الله لها، وفَوقَ ما يَخطُر ببال بشَر، فتزوجها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وله من العُمر خمس وعشرون سنة.

واختُلف في عُمر خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لمّا تزوجها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقيل: أربعين سنة[1]. وقيل: ثمانٍ وعشرين

(١) ذكره ابن سعد في طبقاته (١/ ٦٢) عن الواقدي.

سنة[١]، وقيل غير ذلك.

والحقُّ أنه لا يثبُتُ شيء في عُمرها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حين تزوجها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهي أول امرأة تزوجها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأول امرأة ماتت من نسائه، ولم يتزوَّج عليها غيرَها، ورُزِق منها جميع أولاده وبناته، إلا إبراهيم، فكان من مارِيَة القِبطية.

❋❋❋

---

(١) ذكره الحاكم في المستدرك (رقم الحديث ٤٨٩٧) عن ابن إسحاق بدون إسناد، ولم يذكر ابن إسحاق في السيرة عُمْرَ خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حين تزوجها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولو ذكَره لاشتَهَر عنه أيَّما اشتهار؛ لشُهْرة كتابه.

تجديد بناء الكعبة

أرادت قريش تجديد بناء الكعبة؛ وذلك بسبب الوَهَن الذي أصاب بناءها، وكان ذلك قبل بعثة النبي ﷺ بخمس سنين، وكان عُمْر النبي ﷺ خمسًا وثلاثين سنة، وشارك النبي ﷺ قومه في بناءها.

روَى الشيخان في صحيحَيهما عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: إن رسول الله ﷺ كَانَ يَنْقُلُ مَعَهُمُ الحِجَارَةَ لِلْكَعْبَةِ، وَعَلَيْهِ إِزَارُهُ، فَقَالَ لَهُ العَبَّاسُ عَمُّهُ رضي الله عنه: يَا بْنَ أَخِي، لَوْ حَلَلْتَ إِزَارَكَ فَجَعَلْتَهُ عَلَى مَنْكِبِكَ دُونَ الْحِجَارَةِ! قَالَ: فَحَلَّهُ، فَجَعَلَهُ عَلَى مَنْكِبِهِ، فَسَقَطَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ. قَالَ: فَمَا رُؤِيَ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ عُرْيَانًا[1].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب: كراهية التعري في الصلاة (رقم الحديث ٣٦٤) ومسلم في صحيحه، كتاب الحيض، باب: الاعتناء بحفظ العورة (رقم ٣٤٠/ ٧٧).

وفي رواية أخرى في الصحيحين قال جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَمَّا بُنِيَتِ الكَعْبَةُ ذَهَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَبَّاسٌ يَنْقُلَانِ الحِجَارَةَ، فَقَالَ العَبَّاسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اجْعَلْ إِزَارَكَ عَلَى رَقَبَتِكَ[1]. فَخَرَّ إِلَى الأَرْضِ، وَطَمَحَتْ[2] عَيْنَاهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: «أَرِنِي إِزَارِي» فَشَدَّهُ عَلَيْهِ[3].

قال الحافظ في «الفتح»: وفي الحديث أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان مصونًا عما يُستقبَح قبل البعثة وبعدها، وفيه النهي عن التعرِّي بحَضرة الناس[4].

❊❊❊

---

(١) في رواية الإمام مسلم: عاتقك.
(٢) قال الحافظ في الفتح (٤/ ٢٣٤): فطمحت، بفتح المهملة والميم: أي ارتفعتا.
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب: فضل مكة وبُنيانها (رقم الحديث ١٥٨٢) ومسلم في صحيحه، كتاب الحيض، باب: الاعتناء بحفظ العورة (رقم الحديث ٣٤٠/ ٧٦).
(٤) انظر: فتح الباري (٢/ ٢٥).

وَضْعُ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحجَر الأسود بيده الشريفة

فلما بلَغَت قريش في بناء الكعبة إلى موضع الحجَر الأسود، تنازَعوا فيمن يَضَعُه، حتى كادت أن تشتعل الحرب بينهم، فاتفقوا على أن يُحكِّموا بينهم أولَ مَن يدخُل من باب بني شَيبة، ويُقدِّر الله أن يكون أولَ مَن دخَل عليهم من باب بني شَيبة رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

روَى الإمام أحمد في «مُسنَده» والحاكم في «المُستدرَك» بسند صحيح، واللفظ للحاكم، عن عبدالله بن السائب قال: إِنَّ قُرَيْشًا اخْتَلَفُوا فِي الْحَجَرِ حِينَ أَرَادُوا أَنْ يَضَعُوهُ حَتَّى كَادَ أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُمْ قِتَالٌ بِالسُّيُوفِ، فَقَالُوا: اجْعَلُوا بَيْنَكُمْ أَوَّلَ رَجُلٍ يَدْخُلُ مِنَ الْبَابِ، فَدَخَلَ رَسُولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: هَذَا الأَمِينُ! وَكَانُوا يُسَمُّونَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ «الْأَمِينَ» فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، قَدْ رَضِينَا بِكَ. فَدَعَا بِثَوْبٍ فَبَسَطَهُ وَوَضَعَ

الْحَجَرَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ لِهَذَا الْبَطْنِ وَلِهَذَا الْبَطْنِ: «لِيَأْخُذْ كُلُّ بَطْنٍ مِنْكُمْ بِنَاحِيَةٍ مِنَ الثَّوْبِ» فَفَعَلُوا، ثُمَّ رَفَعُوهُ، وَأَخَذَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَضَعَهُ بِيَدِهِ[1].

وفي رواية أخرى في «المُستدرَك» و«دلائل النبوة» للبيهقي بسند حسن، عن عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لَمَّا أَرَادُوا أَنْ يَضَعُوا الْحَجَرَ، تَشَاجَرُوا فِي وَضْعِهِ، فَقَالُوا: أَوَّلُ مَنْ يَخْرُجُ[2] مِنْ هَذَا الْبَابِ فَهُوَ يَضَعُهُ. فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قِبَلِ بَابِ بَنِي شَيْبَةَ، فَأَمَرَ بِثَوْبٍ فَبُسِطَ، فَوَضَعَ الْحَجَرَ فِي وَسَطِهِ، ثُمَّ أَمَرَ رَجُلًا مِنْ كُلِّ فَخِذٍ مِنْ أَفْخَاذِ قُرَيْشٍ أَنْ يَأْخُذَ بِنَاحِيَةِ الثِّيَابِ، فَأَخَذَهُ رَسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ فَوَضَعَهُ[3].

❊❊❊

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (رقم الحديث ١٥٥٠٤) والحاكم في المستدرك (رقم الحديث ١٧٠١).
(٢) في رواية البيهقي: يدخل.
(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (رقم الحديث ١٧٠٢) والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٥٧).

﴿ حِفْظُ الله رسولَه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل البعثة ﴾

صان الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ **رسوله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وحَمَاه**، وطهَّره من دَنَس الجاهلية ومن كل عَيْب، ومنَحَه كلَّ خُلُق جميل، حتى لم يكن يُعرَف بين قومه إلا بـ«الأَمِين» لِمَا شاهَدوا من طهارته، وصِدْق حديثه وأمانته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال الإمام ابن القيم: ثم حَبَّبَ الله إليه الخَلْوة والتعبد لربه، وكان يَخْلُو بغار «حِرَاءٍ» يَتعبَّد فيه اللياليَ ذواتِ العَدَد، وبُغِّضَت إليه الأوثان ودِينُ قومه، فلم يكن شيء أبغَضَ إليه من ذلك[1].

(١) انظر: زاد المعاد (١/ ٦١).

مَبْعث النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

لمّا بلَغ رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من عُمْره المبارَك أربعين سَنةً[1] - على الصحيح - نزل عليه الوحي، وهو في غار «حِرَاءٍ».

روَى الشيخان في صحيحَيهما عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ[2] وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ «حِرَاءٍ»

---

(١) روى الإمام البخاري في صحيحه (رقم الحديث ٣٩٠٢) عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: بُعث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأربعين سنة، فمكَث بمكة ثلاثَ عشْرةَ سنة يُوحَى إليه، ثم أُمر بالهجرة، فهاجر عشرَ سنين، ومات وهو ابن ثلاث وستين.

قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٥/ ٨١): وهذا الذي ذكرناه أنه بُعث على رأس الأربعين سنة هو الصواب المشهور الذي أطبَق عليه العلماء.

(٢) قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٣/ ٨): وإنما كان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحب الخلاء والانفراد عن قومه لِمَا يَرَاهم عليه من الضلال المبين، من عبادة الأوثان والسجود للأصنام، وقَوِيَت محبَّته للخَلوة عند مقاربة إيحاء الله إليه صلوات الله وسلامه عليه.

فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ[1] - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ، قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ[2] إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: «اقْرَأْ» قَالَ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ» قَالَ: «فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي[3] حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ. قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ. فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ. فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ. فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ

---

(١) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٢/ ١٧١): التحنُّث بالحاء المهملة، فسَّره بالتعبُّد، وهو تفسير صحيح، وأصل الحِنْث الإثم، فمعنى يَتحَنَّث: يَتجَنَّب الإثم، فإنه بعبادته يَمنَع نَفْسَه من الحِنث.

(٢) قال الحافظ في الفتح (١/ ٣٤): يَنْزِع، بكسر الزاي، أي يرجع، وزنًا ومعنى. وفي رواية أخرى في صحيح البخاري (رقم الحديث ٤٩٢٣): يَرجِع.

(٣) في رواية ابن إسحاق في السيرة (١/ ٢٧٣): فغَتَّني.
قال ابن الأثير في النهاية (٣/ ٣٠٨): الغَتُّ والغَطُّ سواءٌ، كانه أراد: عصَرَني عصرًا شديدًا حتى وجدتُ منه المشقة، كما يجد مَن يُغمَس في الماء قهرًا.

﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾[1] فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فَقَالَ: «زَمِّلُونِي[2] زَمِّلُونِي» فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ، فَقَالَ: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي» فَقَالَتْ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: كَلَّا، وَاللهِ مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِ[3].

❊❊❊

---

(١) سورة العلق: ١ - ٥.

قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٢/ ١٧٢): هذا دليل صريح في أن أول ما نزل من القرآن ﴿اقْرَأْ﴾ وهذا هو الصواب الذي عليه الجماهير من السلف والخلف.

(٢) زمِّلوني: يعني غطُّوني. انظر: النهاية (٢/ ٢٨٣).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (رقم الحديث ٣) ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: بد الوحي إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (رقم الحديث ١٦٠/ ٢٥٢).

فُتُور الوحي[1] ونزوله مرة ثانية

فتَر الوحي عن رسول الله ﷺ بعد أول مرة مِن نزول جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ على رسول الله ﷺ والحكمة من ذلك ليَشتاقَ رسول الله ﷺ إليه مرة أخرى.

روَى الإمام أحمد في «مُسنَده» بسند حسن عن جابر ابن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: حُبِسَ الوحيُ عن رسولِ اللهِ ﷺ في أوَّلِ أَمْرِهِ، وحُبِّبَ إليه الخَلَاءُ، فجَعَلَ يَخلُو في حِراءٍ، فبَينَما هو مُقبِلٌ مِن حِراءٍ: «إِذَا أَنَا بِحِسٍّ مِن فَوْقِي، فرَفَعْتُ رَأْسي، فإذا الذي أَتَانِي بحِراءٍ فَوقَ رَأْسي على كُرْسيٍّ، فلمَّا رَأيتُه جُئِثْتُ[2] عَلَى الأَرْضِ، فلمَّا أَفَقْتُ أَتَيْتُ

---

(١) قال الحافظ في الفتح (١/ ٤٠): فتور الوحي عبارة عن تأخره مدة من الزمان، وكان ذلك ليذهب ما كان رسول الله ﷺ وجده من الروع، وليحصل له التشوق إلى العود.

(٢) وفي صحيح البخاري (رقم الحديث ٣٢٣٨): فَجُئِثْتُ مِنْهُ، حَتَّى هَوَيْتُ إِلَى الأَرْضِ. =

أَهْلِي مُسرِعًا فقلتُ: دَثِّرُونِي، دَثِّرُونِي. فأتاني جِبريلُ فقال»:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ[1] ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ٥﴾[2].

وروَى الشيخان في صحيحَيهما والإمام أحمد في «مُسنَده» واللفظ لأحمد، عن أبي سلمة بن عبدالرحمن قال: أخبرني جابر بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه سمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «ثم فَتَرَ الوَحْيُ عَنِّي فَتْرَةً، فَبيْنَا أَنَا أَمْشِي، سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ بَصَرِي قِبَلَ السَّمَاءِ، فَإِذَا المَلَكُ الذي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ قَاعِدٌ على كُرْسِيٍّ بيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ،

= وفي مصنف ابن أبي شيبة (رقم الحديث ٣٧٧١٣): جُثثت إلى الأرض.
قال الحافظ في الفتح (٩/ ٧٤٣): ذكَر عِيَاض أنه وقع للقابِسيّ بالمهملة، قال: وفسَّره بـ(أَسرَعْت) قال: ولا يصح مع قوله: «حتى هَوَيْت» أي سَقَطتُ من الفزع. قلت (القائل ابن حجر): معناها إن كانت محفوظه: سقطت على وجهي حتى صرتُ كمن حُثِيَ عليه التراب.

(١) قال الإمام القرطبي في تفسيره (٢١/ ٣٥٧): ملاطفة في الخطاب من الكريم إلى الحبيب، إذ ناداه بحاله وعَبَّر عنه بصفته، ولم يقل: يا محمد، ويا فلان، ليستشعر اللين والملاطفة من ربه.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (رقم الحديث ١٥٠٣٣).

فَجُئِثْتُ منه حتَّى هَوَيْتُ إلى الأَرْضِ، فَجِئْتُ أهْلِي، فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي! زَمِّلُونِي! زَمِّلُونِي! فَزَمَّلُونِي، فأَنْزَلَ اللهُ تَعالَى»: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾﴾ ثُمَّ حَمِيَ الوَحْيُ بَعدُ وتَتَابَع[1].

قال الحافظ ابن كثير: ثم أمَر اللهُ رسولَه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذه الآية[2] أن يُنذِر قومه، ويَدعوهم إلى الله، فشَمَّر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ساق التكليف، وقام في طاعة الله سبحانه أتَمَّ قيام، يَدعو إلى الله سبحانه الكبيرَ والصغيرَ، والحُرَّ والعبد، والرجال والنساء، والأسود والأحمر[3].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (رقم الحديث ٤) وأخرجه في مواضع أخرى من صحيحه، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: بدء الوحي إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (رقم الحديث ١٦١/ ٢٥٥) والإمام أحمد في مسنده (رقم الحديث ١٤٤٨٣).

(٢) هي قوله تعالى في سورة المدثر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾﴾.

(٣) انظر: كلام الحافظ ابن كثير في الفصول في سيرة الرسول (ص ٥٥).

وذلك لعالمية رسالته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾[(١)] وكما قال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾[(٢)].

❋❋❋

(١) سورة سبأ: آية (٢٨).

(٢) سورة الأنبياء: آية (١٠٧).

أقسام الدعوة

تنقسم الدعوة في حياة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ إلى قسمين:

* مكية.

* مدنية.

* **والمكية تنقسم إلى قسمين:**

* **سرِّية:** واستمرت ثلاث سنوات.

* **وجَهرية:** باللسان فقط دون قتال، وكانت من بداية السنة الرابعة للبعثة حتى الهجرة إلى المدينة.

❊❊❊

الدعوة السِّرِّيَّة

بدأ رسول الله ﷺ يدعو سرًّا من يَثِق به، فأخبَر زوجته خديجة بنت خُويلد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وبناته، وعليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكان في حِجر النبي ﷺ ومولاه زيدَ ابن حارثة. وأولُ مَن آمَن به من خارج بيته أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ودخل في دين الله في هذه الفترة المتقدمة من الدعوة مَن شرَح الله صدره للإسلام، فأسلَم عدد قليل من الأوائل من الصحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

أسلَمَ هؤلاء سِرًّا، وكان رسول الله ﷺ يَجتمع بهم ويُرشِدهم إلى الدين متخفيًا؛ لأن الدعوة كانت لا تزال فردية وسِرِّية، وكان الوحي قد تتابَع وحَمِيَ نزولُه بعد نزول أوائل سورة المدثِّر، وبدأ الناس يَتسامَعون بدعوة الإسلام، فدخَل فيه في هذه الفترة السِّرِّية الفقراء والأَرِقَّاء.

أول دم أُهريق في الإسلام

كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا صَلَّوا[1] ذهبوا إلى الشِّعَاب[2] فاستَخْفَوا بصَلاتهم من قومهم، فبينما سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ في شِعْب من شِعَاب مكة، إذ ظَهَر عليهم نفر من المشركين، وهم يُصلُّون، فناكَرُوهم وعابوا عليهم ما يَصنَعون حتى قاتلوهم، فضَرَب سعدُ بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يومئذ رجلًا من المشركين بلَحْيِ[3] بعير فشَجَّه، فكان أولَ

---

(١) لم تكن الصلاة فرضًا قبل الإسراء والمعراج، وإنما كانت على الاستحباب، ولم تُفرض الصلاة إلا في الإسراء والمعراج.
قال الحافظ في الفتح (٩/ ٦٧٥): كان رسول الله ﷺ قبل الإسراء يُصلي قطعًا، وكذلك أصحابه، ولكن اختُلِف؛ هل افتُرِض قبل الصلوات الخمس شيء من الصلوات أم لا؟ فيصح على هذا قول من قال: إن الفرض أولًا كان صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها، والحجة فيه قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾.

(٢) الشِّعْب، بكسر الشين: ما انفرَج بين جبلَين. وقيل: هو الطريق في الجبل. والجمع شعاب. انظر: لسان العرب (٧/ ١٢٨).

(٣) اللَّحْيان: العظمان اللذان فيهما الأسنان من داخل الفم. انظر: لسان العرب (١٢/ ٢٥٩).

دم هُريق في الإسلام[1].

وروَى الحاكم في «المُستدرَك» بسند صحيح عن سعيد ابن المسيّب قال: إن سعد بن أبي وقاص رَضِيَٱللَّهُعَنهُ أولُ من أهرَق دمًا في سبيل الله[2].

ترامَت هذه الأنباء إلى قريش فلَم تُعِرْها اهتمامًا، ولعلها حَسِبَت محمدًا صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ أحد أولئك الدَّيَّانِين الذين يَتكلمون في الألوهية وحقوقها، كما صنَع أُمَيّة بن أبي الصَّلْت وقَسُّ بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نُفَيل وأشباههم، إلا أنها توجَّسَت[3] خِيفَةً من ذُيوع خبره وامتداد أَثره، وأخَذَت تُراقب على الأيام مَصيره ودعوته[4].

(١) انظر: سير ابن هشام (١/ ٣٠٠).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (رقم الحديث ٦٢٣٤).

(٣) الوَجْس: الصوت الخفي. انظر: النهاية (٥/ ١٣٧).

(٤) انظر: فقه السيرة (ص ٩٦) للشيخ محمد الغزالي.

مرَّت ثلاث سِنين والدعوة لا تَزال سِرّية فردية، وخلال هذه الفترة تكونت جماعة من المؤمنين تقوم على الأُخوة والتعاون وتبليغ الرسالة وتمكينها من مقامها، ثم نزل الوحي على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأمره بإعلان الدعوة.

الصَّدْع بالدعوة

ثم نزل على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾[1] ونزل عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قوله تعالى: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾[2].

قال الإمام ابن القيم: ثم نزَل عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾[3] فأعلن صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالدعوة وجاهَر قومه[4].

وقال الحافظ ابن كثير: ولم يكُن في بني هاشم إذ ذاك أشدُّ إيمانًا وإيقانًا وتصديقًا لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِن عليٍّ

(١) سورة الشعراء (٢١٤ - ٢١٦).
(٢) سورة الحجر (آية ٩٤).
(٣) سورة الحجر (آية ٩٤).
(٤) انظر: زاد المعاد (١/ ٧٢).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولهذا بدَرَهم إلى التزام ما طَلَب منهم رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ثم كان بعدَ هذا - والله أعلم - دعاؤه الناسَ جَهْرةً على الصَّفَا، وإنذاره لبطون قريش عمومًا وخصوصًا، حتى سَمَّى مَن سَمَّى مِن أعمامه وعماته وبناته، ليُنَبِّهَ بالأدنى على الأعلى، أي: إنما أنا نذير، والله يَهدي مَن يشاء إلى صراط مستقيم[(١)].

وروَى الشيخان في صحيحَيهما - واللفظ لمسلم - عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: لما نزَلَت هذه الآية: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾[(٢)] ورَهْطَكَ مِنْهُمُ المُخْلَصِينَ[(٣)]

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ١٧٠).

(٢) سورة الشعراء (٢١٤).

(٣) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٣/ ٦٩): قوله: «ورَهْطَكَ منهم المُخْلَصِين» كان قرآنًا أُنزِل ثم نُسِخَت تلاوته، ولم تقع هذه الزيادة في روايات البخاري.

قلت: بل وقعت هذه الزيادة بحروفها في صحيح البخاري (رقم الحديث ٤٩٧١).

خَرَجَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتَّى صَعِدَ الصَّفَا، فَهَتَفَ[1]: «يا صَبَاحَاهْ!» فَقالوا: مَن هَذَا الذي يَهتِفُ؟ فقالوا: مُحَمَّدٌ. فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، فقال: «يَا بَنِي فُلَان، يَا بَنِي فُلَانٍ، يَا بَنِي فُلَانٍ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ» فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، فَقَالَ: «أَرَأَيْتَكُمْ لَو أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ بِسَفْحِ[2] هذا الجَبَلِ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟» قالوا[3]: ما جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا. قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فإنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ»[4].

وروَى الشيخان في صحيحَيهما عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين أنزل الله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾[5] قال: «يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، اشْتَرُوا

---

(١) هتَف: نادَى. انظر: النهاية (٥/ ٢١١). وفي رواية الإمام البخاري: فجعل يُنادي.
(٢) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٣/ ٦٩): سفح الجبل، بفتح السين: وهو أسفله.
(٣) زاد الإمام البخاري في صحيحه بعد: قالوا: نعم.
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، (رقم الحديث ٤٩٧١)، ومسلم في صحيحه، (رقم الحديث ٢٠٨).
(٥) سورة الشعراء (٢١٤).

أَنْفُسَكُمْ لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شيئًا. يا بَنِي عبدِ مَنَافٍ، لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شيئًا. يا عَبَّاسُ بنَ عبدِ المُطَّلِب، لا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شيئًا. ويَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسولِ اللهِ، لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شيئًا. ويَا فَاطِمَةُ بنْتَ مُحَمَّدٍ، سَلِينِي ما شِئْتِ مِن مَالِي، لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شيئًا»[1].

أوضَح رسول الله ﷺ لِأقرب الناس إليه أن التصديق بهذه الرسالة هو حياة الصِّلَة بينه وبينهم، وأن عَصَبية القرابة التي يقوم عليها العرب ذابت في حرارة هذا الإنذار الآتي من الله[2].

❊❊❊

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب سورة الشعراء (رقم الحديث ٤٧٧١) ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ (رقم الحديث ٢٠٦).

(٢) انظر: فقه السيرة (ص ٩٧) للشيخ محمد الغزالي.

حِماية أبي طالب ابنَ أخيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قال ابن إسحاق: فلما بادَى[1] رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قومه بالإسلام، وصدَع به كما أمره الله، لم يَبعُدْ منه قومُه ولم يردُّوا عليه، حتى ذكَر آلهتهم وعابَها، فلما فعل ذلك أعظَموه وناكَروه، وأجمَعوا خِلَافه وعَداوته، إلا مَن عَصَم الله تعالى منهم بالإسلام، وهم قليل مُستَخْفُون، وحَدِبَ[2] على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عمُّه أبو طالب ومنَعَه وقام دونَه، ومضى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أمر الله مُظهِرًا لِأمره، لا يردُّه عنه شيء[3].

قال الحافظ ابن كثير: وصان اللهُ رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) بادَى: يعني جاهَر. انظر: لسان العرب (١/ ٣٤٧).

(٢) حَدِب فلان على فلان: تَعطَّف وحنا عليه. انظر: لسان العرب (٣/ ٧٤).

(٣) انظر: سيرة ابن هشام (١/ ٣٠٠ - ٣٠١).

وحَمَاه بعمِّه أبي طالب؛ لأنه كان شريفًا مُطاعًا فيهم نبيلًا بينهم، لا يَتجاسَرون على مفاجأته بشيء في أمر محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ لِمَا يَعلمون مِن مَحَبّته له، وكان من حكمة الله بقاؤه على دينهم لِمَا في ذلك من المصلحة[1].

❊❊❊

(١) انظر: الفصول في سيرة الرسول (ص ٥٧).

موقف «أبو لهب» وزوجته من الدعوة

كان موقف «أبو لهب» وزوجته أُمّ جَميل أَرْوَى بنت حَرب من دعوة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العداوة أبَدَ الدهر، فإنه لما دعا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الناس على جبل الصَّفَا قام عمُّه أبو لهب فقال: تَبًّا لك سائر اليوم، ألِهَذا جمَعْتَنا! فنَزَلَت فيه: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾[1].

قال الحافظ ابن كثير: فأبو لهب هذا هو أحد أعمام رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واسمه «عبدالعُزَّى بن عبدالمطَّلِب» وكنيته «أبو عُتْبة» وإنما سُمِّي أبا لهب لإشراق وجهه، وكان كثير الأذية لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والبَغْضة له، والازدراء به، والتنقُّص له ولِدِينه[2].

(١) سورة المسد (آية ١ – ٢).
وأخرج ذلك الإمام البخاري في صحيحه (رقم الحديث ٤٧٧٠) ومسلم في صحيحه، (رقم الحديث ٢٠٨/ ٣٥٥).
(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٥١٤).

فائدة في تسمية أبي لهب

قال الإمام القرطبي: إنما كَنَاه الله[1] بأبي لَهَب لِمَعانٍ أربعة:

* **الأول:** أنه كان اسمه «عبدالعُزَّى» والعُزَّى صَنَم، ولم يُضِف الله في كتابه العبودية إلى صنم.

* **الثاني:** أنه كان بكنيته أشهَرَ منه باسمه، فصُرِّح به.

* **الثالث:** أن الاسم أشرف من الكنية، فحطَّه الله عَزَّوَجَلَّ عن الأشرف إلى الأنقص، إذ لم يكن بُدّ من الإخبار عنه، ولذلك دعا الله تعالى الأنبياء بأسمائهم، ولم يَكْنِ عن أحد منهم، ويدلُّك على شرف الاسم على الكنية أن الله تعالى يُسَمَّى ولا يُكْنَى، وإن كان ذلك لظهوره وبيانه واستحالة نسبة الكُنية إليه لتقدُّسه عنها.

(١) في القرآن.

* **رابعًا:** أن الله تعالى أراد أن يُحقق نسبته بأن يدخله النار، فيكون أبًا لها، تحقيقًا للنَّسَب، وإمضاءً للفَأْل والطِّيَرة التي اختارها لنفسه[1].

❊❊❊

(١) انظر: تفسير القرطبي (٢٢/ ٥٤٧).

عداوة أُمِّ جَمِيل العوراء

هي أُمّ جَمِيل العَوْراء بنت حرب ابن أمية، وهي زوجة أبو لهب.

روَى ابن حِبَّان في صحيحه بسند صحيح بالشواهد، عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: لما نزَلَت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾[1] جاءت امرأةُ أبي لَهَبٍ إلى النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومعه أبو بكرٍ، فلمَّا رآها أبو بكرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: يا رسولَ اللهِ، إنَّها امرأةٌ بذيئةٌ[2] وأخاف أنْ تُؤذيَك! فلو قُمْتَ! فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّها لَنْ تَرانِي» فجاءت فقالت: يا أبا بكرٍ، إنَّ صاحبَك هجَانِي. قال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: لا، وما يقولُ الشِّعرَ. قالت: أنتَ عندي مُصَدَّقٌ. وانصرَفَتْ، فقُلْتُ: يا رسولَ اللهِ، لَمْ ترَكَ! فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا، لَمْ يَزَلْ مَلَكٌ يَسْتُرُنِي عنها بجَناحِهِ»[3].

---

(١) سورة المسد (آية ١).

(٢) البذيء: الفاحش من الرجال، والأنثى: بذيئة. انظر: لسان العرب (١/ ٣٥٠).

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب التاريخ، باب المعجزات (رقم الحديث=

وفي رواية الحاكم في «المُستدرَك» بسند صحيح - إن شاء الله - عن أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالت: لما نزلت: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ١﴾[1] أَقْبَلَتِ الْعَوْرَاءُ أُمُّ جَمِيلِ بِنْتُ حَرْبٍ، وَلَهَا وَلْوَلَةٌ، وَفِي يَدِهَا فِهْرٍ[2] وهي تقول: مُذَمَّمًا[3] أَبَيْنَا، ودِينَهُ قلَيْنَا[4] وأَمْرَهُ عَصَيْنَا. والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ، وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ، فَلَمَّا رَآهَا أَبُو بَكْرٍ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ أَقْبَلَتْ، وَأَنَا أَخَافُ أَنْ تَرَاكَ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهَا لَنْ تَرَانِي» وَقَرَأَ

= ٦٥١١) وذكره الحافظ في الفتح (٩/ ٧٦٥) وعزاه للبزار، وحسَّن إسناده، وأورده الحافظ ابن كثير في كتابه مسند الإمام أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ص ٥٨٨ - ٥٨٩) وقال: هذا إسناد حسن.

(١) سورة المسد (آية ١).

(٢) الفِهر، بكسر الفاء: هو الحجر مِلء الكف. وقيل: هو الحجر مطلقًا. انظر: لسان العرب (١٠/ ٣٤١).

(٣) كانت قريش تُسمِّي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُذمَّمًا ثم يسبُّونه، فكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «ألا تعجبون كيف يَصرف الله عني شتم قريش ولعنهم؟ يشتمون مذممًا ويلعنون مذممًا، وأنا محمد» رواه البخاري (رقم الحديث ٣٥٣٣).

(٤) قلَيْته: أبغَضْته وكَرِهْته. انظر: لسان العرب (١١/ ٢٩٣). ومنه قوله تعالى في سورة الضحى (آية ٣): ﴿وَمَا قَلَىٰ﴾.

قُرْآنًا فَاعْتَصَمَ بِهِ كَمَا قَالَ، وَقَرَأَ ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾﴾[1] فَوَقَفَتْ عَلَى أبي بَكْرٍ، وَلَمْ تَرَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنِّي أُخْبِرْتُ أَنَّ صَاحِبَكَ هَجَانِي. فَقَالَ: لَا، وَرَبِّ هَذَا الْبَيْتِ، مَا هَجَاكِ. قال: فَوَلَّتْ وَهِيَ تَقُولُ: قَدْ عَلِمَتْ قُرَيْشٌ أَنِّي بِنْتُ سَيِّدِهَا[2].

قال الحافظ ابن كثير: وجَدِير أن يُذكَر هذا الحديث عند قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[3] وعند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾﴾[4].

❊❊❊

---

(١) سورة الإسراء (آية ٤٥).
(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (رقم الحديث ٣٤١٦).
(٣) سورة المائدة (آية ٦٧).
(٤) سورة الإسراء (آية ٤٥).
وانظر: كتاب مسند الإمام أبي بكر الصديق (ص ٥٨٩) للحافظ ابن كثير.

بعث قريش إلى أبي طالب

فلما رأت قريش أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يُعْتِبُهم من شيء أنكروه عليه من فراقهم وعَيب آلهتهم، ورأوا أن عمه أبا طالب قد حَدِب عليه، وقام دونه، فلم يُسْلِمه لهم، مشى رجال من أشراف قريش إلى أبي طالب: عُتبة وشَيبة ابنا رَبِيعة، وأبو سفيان بن حرب، وأبو البَخْتَري العاص بن هشام، والأسود بن المطلب، وأبو جهل عمرو بن هشام، والوليد بن المغيرة، ونُبَيْه ومُنَبِّه ابنا الحجاج، والعاص بن وائل، فقالوا: يا أبا طالب، إن ابن أخيك قد سَبّ آلهتنا، وعاب ديننا، وسَفَّهَ أحلامنا(١) وضَلَّلَ آباءنا، فإما أن تَكُفَّه عنَّا، وإما أن تُخْلِيَ بيننا وبينه، فإنك على مِثل ما نحن عليه من خِلافِه، فنكْفِيكه! فقال لهم أبو طالب قولًا رفيقًا، وردَّهم ردًّا جميلًا، فانصرفوا عنه(٢).

---

(١) الأحلام: العقول. انظر: لسان العرب (٣/ ٣٠٥).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (١/ ٣٠١).

الوليد بن المغيرة يُحاور الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

روَى الحاكم في «مُستدرَكه» وصححه، والبيهقي في «دلائل النبوة» عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: إنَّ الوليدَ بنَ المغيرةِ جاءَ إلى رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقرأَ عليهِ القرآنَ، فكأنَّهُ رَقَّ له، فبلَغَ ذلكَ أبا جهلٍ، فأتاهُ فقال: يا عمُّ، إنَّ قومَكَ يريدونَ أن يَجمَعوا لكَ مالًا. قال: لمَ؟ قال: ليُعطُوكَهُ؛ فإنَّكَ أتيتَ محمَّدًا لتَعَّرضَ لِمَا قِبَلَهُ. قال: قد عَلِمَت قريشُ أني من أكثرِها مالًا. قال: فقُل فيهِ قولًا يبلُغُ قومَكَ أنَّكَ مُنكِرٌ لهُ، أو أنك كارهٌ له. قال: وماذا أقولُ؟ فواللهِ ما فيكم رجلٌ أعرَفَ بالأشعارِ منِّي، ولا أعلَمَ برَجَزِه ولا بقَصيدِهِ منِّي، ولا بأشعارِ الجنِّ، واللهِ ما يُشبِهُ الذي يقولُ شيئًا مِن هذا، وواللهِ إنَّ لقولِه الذي يقولُه حلاوةً، وإنَّ عليهِ لطَلاوةً[1] وإنهُ لمُثمِرٌ

---

(١) لطَلَاوَة: أي رونقًا وحُسنًا. انظر: النهاية (٣/ ١٢٥). =

أعلاهُ مُغدِقٌ أسفلُهُ، وإنهُ لَيَعلو ولا يُعْلَى، وإنهُ لَيَحْطِمُ ما تحتَهُ. قال: لا يَرضَى عنكَ قومُكَ حتَّى تقولَ فيهِ. قال: فدَعْنِي حتى أفكِّرَ. فلمَّا فكَّرَ قال: هَذَا سِحْرٌ يُؤْثَرُ، يَأْثِرُهُ عن غيرِهِ. فنَزَلَت ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝١١ ﴾[1].

❋❋❋

= وفي رواية ابن إسحاق في السيرة (١/ ٣٠٧): والله إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لَعَذْقٌ. وقال ابن هشام: ويُقال: لَغَدَقٌ.

قال ابن سيد الناس في عيون الأثر (١/ ١٩١): قوله: لَعَذْقٌ، بفتح العين المهملة وسكون الذال، استعارة من النخلة التي ثبت أصلها، وهو العَذْق، ورواية ابن هشام: لَغَدق، بغين معجمة وكسر الدالة المهملة، من الغَدَق، وهو الماء الكثير.

قال السهيلي في الروض الأنف (٢/ ١٤): ورواية ابن إسحاق أفصح من رواية ابن هشام، لأنها استعارة تامة، تُشبّه آخر الكلام بأوله.

(١) قال الإمام القرطبي في تفسيره (٢١/ ٣٧١): المفسرون على أنه الوليد بن المغيرة المخزومي، وإن كان الناس خُلقوا مثل خَلقه، وإنما خُصّ بالذكر لاختصاصه بكفر النعمة وإيذاء الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

والخبر أخرجه الحاكم في المستدرك (رقم الحديث ٣٩١٤) وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ١٩٨ - ١٩٩) من طرق مرسلة، وأخرجه ابن إسحاق في السيرة (١/ ٣٠٦). قال البيهقي في الدلائل (٢/ ١٩٩): وكل ذلك يؤكد بعضه بعضًا.

وصف النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالساحر

اتفقَت قريش على وصف النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالساحر، كما وصفه لهم بذلك الوليد بن المغيرة، قبَّحه الله، فجعلوا يَجلسون بسُبُل[1] الناس حين قَدِمُوا المَوسِم[2] لا يمُرّ بهم أحد إلا حذَّروه إياه وذكَروا لهم أمره، وكان من أشد قريش حماسة لذلك أبو لهب عمُّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبو جهل عمرو بن هشام، قبَّحهما الله.

روَى الإمام أحمد في «مُسنَده» والحاكم في «المُستدرَك» بسند حسن - واللفظ لأحمد - عن رَبِيعة بن عِبَادٍ الدَّيلِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: رأَيْتُ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَصْرَ عَيْنِي بسُوقِ ذي المَجازِ يقولُ: «يا أيُّها الناسُ، قُولوا: (لا إلهَ إلا اللهُ) تُفلِحوا» ويدخُلُ في فِجاجِها[3] والناسُ مُتقصِّفون[4]

---

(١) السُبُل، جمع سبيل: وهو الطريق. انظر: النهاية (٢/ ٣٠٥).
(٢) يعني موسم الحج.
(٣) الفجاج، جمع فج: وهو الطريق الواسع. انظر: النهاية (٣/ ٣٧٠).
(٤) مُتقصفون: مزدحمون. انظر: النهاية (٤/ ٦٥).

عليه، فما رأَيْتُ أحدًا يقولُ شيئًا، وهو لا يسكُتُ، يقولُ: «أيُّها الناسُ، قُولوا: (لا إلهَ إلا اللهُ) تُفلِحوا» إلا أنَّ وراءه رجُلًا أحوَلَ، وَضِيءَ الوجهِ، ذا غَدِيرتَيْنِ، يقولُ: إنَّه صابئٌ كاذبٌ. فقلتُ: مَن هذا؟ قالوا: محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ، وهو يذكُرُ النُّبوَّةَ. قلتُ: مَن هذا الذي يكذِّبُهُ؟ قالوا: عَمُّهُ أبو لَهَبٍ[(١)].

وفي رواية أخرى أن الذي كان يَتْبَعُه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبو جهل.

فروَى الإمام أحمد في «مُسنَدِه» بسند صحيح عن أشعَثَ ابن أبي الشَّعْثاء قال: حَدَّثَني شَيخٌ مِن بَني مالكِ بنِ كِنانةَ قال: رَأيتُ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسوقِ ذي المَجازِ، يَتخَلَّلُها، يقولُ: «يا أيُّها النَّاسُ، قولوا: (لا إلهَ إلَّا اللهُ) تُفلِحوا» قال: وأبو جَهلٍ يَحثِي عليه التُّرابَ ويقولُ: أيُّها النَّاسُ، لا يَغُرَّنَّكم هذا عن دِينِكم؛ فإنَّما يُريدُ لِتَترُكوا آلهتَكم، وتَترُكوا اللَّاتَ والعُزَّى. قال: وما يَلتَفِتُ إليه رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[(٢)].

---

(١) أخرجه الأمام أحمد في مسنده (رقم الحديث ١٦٠٢٣) والحاكم في المستدرك (رقم الحديث ٣٩٩).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (رقم الحديث ١٦٦٠٣).

قال الحافظ ابن كثير: كذا في هذا السياق «أبو جهل» وقد يكون وَهْمًا، ويَحتمِل أن يكون تارةً يكون ذا، وتارة يكون ذا، وأنهما كانا يَتناوَبان على إيذائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1].

وقال ابن إسحاق: وأدَّى ذلك إلى أن صدَرَت[2] العرب من ذلك المَوْسِم بأمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فانتَشَر ذِكْرُه في بلاد العرب كلها، وخَشِي أبو طالب دَهْمَاء[3] العرب أن يَركَبوه مع قومه، فقال قصيدته التي تَعوَّذ فيها بحَرَم مكة وبمكانه منها، وتودَّد فيها أشرافَ قومه، وهو على ذلك يُخبِرهم أنه غير مُسْلِمٍ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا تارِكُه لشيء أبدًا حتى يَهْلِك دونه[4].

❊❊❊

(١) انظر: البداية والنهاية (٣/ ١٥١).

(٢) صدر: رجع. انظر: النهاية (٣/ ١٥).

(٣) الدهماء: الجماعة من الناس. انظر: لسان العرب (٤/ ٤٣١).

(٤) انظر: سيرة ابن هشام (١/ ٣٠٩).

أساليب قريش في محاربة الدعوة

١) إثارة الشبهات حول مصدر القرآن الكريم، وبث الدعايات الكاذبة، ونشر الإيرادات الواهية حول تعليمه، وحول شخصيته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكانوا يقولون: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾[(١)] وقالوا عن القرآن: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾﴾[(٢)].

٢) السخرية والاستهزاء والتكذيب، فرَمَوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجنون ﴿وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾﴾[(٣)].

---

(١) سورة النحل (آية ١٠٣).
(٢) سورة الفرقان (آية ٤ – ٥).
(٣) سورة الحجر (آية ٦).

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا تَلَا عليهم القرآن ودعاهم إلى الله تعالى، قالوا يهزؤون به: ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ۝٥ ﴾[1].

وقال الله سبحانه: ﴿ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۝٣٦ ﴾[2].

وقال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ۝٤١ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ۝٤٢ ﴾[3].

قال الحافظ ابن كثير: يقول تعالى لنبيه صلوات الله

---

(١) سورة فصلت (آية ٥).

(٢) سورة الأنبياء (آية ٣٦).

(٣) سورة الفرقان (آية ٤١-٤٢).

وسلامه عليه: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾[1] يعني كفار قريش، كأبي جهل وأشباهه ﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾[2] أي: يستهزئون بك وينتقصونك، يقولون: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ﴾[3] يعنون: أهذا الذي يسُبُّ آلهتكم ويُسَفِّهُ أحلامكم، قال تعالى: ﴿وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٦﴾[4] أي: وهم كافرون بالله، ومع هذا يستهزئون برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَإِذَا رَأَوۡكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ٤١ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا لَوۡلَآ أَن صَبَرۡنَا عَلَيۡهَاۚ وَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ حِينَ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ مَنۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ٤٢﴾[5][6].

---

(١) سورة الأنبياء (آية ٣٦).

(٢) سورة الأنبياء (آية ٣٦).

(٣) سورة الأنبياء (آية ٣٦).

(٤) سورة الأنبياء (آية ٣٦).

(٥) سورة الفرقان (آية ٤١-٤٢).

(٦) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٣٤٢).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾﴾[1].

قال الإمام القرطبي: قال تعالى مُؤْنسًا لنبيه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ومُعزِّيًا: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ﴾[2] أي: نزَل بأُمَمِهم من العذاب ما أُهْلِكوا به جزاء استهزائهم بأنبيائهم[3].

٣) معارضة القرآن بأساطير الأولين لإشغال الناس بها عنه، وقد توَلَّى ذلك النضرُ بن الحارث، وكان من شياطين قريش، وكان قَدِم الحِيرَة[4] وتَعلَّم بها أحاديث ملوك الفرس.

قال ابن هشام: وهذا الذي قال، فيما بلغني: ﴿سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾[5].

(١) سورة الأنعام (آية ١٠).
(٢) سورة الأنعام (آية ١٠).
(٣) انظر: تفسير القرطبي (٨/ ٣٢٨).
(٤) الحيرة، بكسر الحاء: مدينة على ثلاثة أميال من الكوفة. انظر: معجم البلدان (٣/ ٢٠١).
(٥) سورة الأنعام (آية ٩٣) والخبر في سيرة ابن هشام (١/ ٣٣٧).

وقال ابن إسحاق: وكان ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا يقول، فيما بلَغَني: نزل فيه ثمان آيات من القرآن: قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٥﴾[1] وكل ما ذُكر فيه من الأساطير من القرآن[2].

❋❋❋

(١) سورة القلم (آية ١٥).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (١/ ٣٣٧).

تعذيب قريش مَن أسلَم

استمَرّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو إلى الله تعالى ليلًا ونهارًا، وسرًّا وجهرًا، لا يَصْرِفه عن ذلك صارِف، ولا يرُدّه عن ذلك رادّ، ولا يصُدّه عنه ذلك صادّ، يَتَّبِع الناس في أنديتهم ومجامعهم ومَحافلهم، وفي المواسم ومواقف الحج، يدعو مَن لَقِيَه مِن حُرّ وعبدٍ، وضعيفٍ وقويٍّ، وغنيٍّ وفقيرٍ، جميع الخلق في ذلك عنده شَرَعٌ سَواءٌ، وتَسلَّطَ عليه وعلى مَن اتَّبَعه مِن آحادِ الناس مِن ضعفائهم الأشدّاءُ الأقوياء مِن مُشرِكي قريش بالأذية القولية والفعلية[(١)].

قال ابن إسحاق: ثم إنهم عَدَوا على مَن أَسْلَمَ واتَّبَع رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أصحابه، فوَثَبَت كل قبيلة على مَن آمَن فيها من المسلمين، فجعَلوا يَحبِسونهم ويُعذبونهم

(١) انظر: البداية والنهاية (٣/ ٤٦).

بالضرب والجوع والعطش، وبرَمْضَاء[1] مكة إذا اشتد الحَرّ، مَن استُضعِفوا منهم، يَفتِنونهم عن دينهم، فمنهم مَن يُفتَن من شدة البلاء الذي يُصيبه، ومنهم من يَصلُب لهم ويَعصِمه الله منهم[2].

وقال الإمام ابن القيم: وحَمَى الله رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعمِّه أبي طالب؛ لأنه كان شريفًا معظَّمًا في قريش، مُطَاعًا في أهل مكة، لا يَتجاسَرون على مُكاشَفته بشيء من الأذى، وكان مِن حكمة أحكم الحاكمين بقاؤه على دِين قومه؛ لِمَا في ذلك من المصالح التي تبدو لمَن تأمَّلها، وأما أصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ فمَن كان له عَشِيرة تَحمِيه امتنَع بعشيرته، وسائرُهم تَصدَّوا له بالأذى والعذاب[3].

---

(١) الرمضاء: شدة وقع الشمس على الرمل وغيره. انظر: لسان العرب (٥/ ٣١٥).
(٢) انظر: سيرة ابن هشام (١/ ٣٥٤).
(٣) انظر: زاد المعاد (٣/ ٢٦).

وروَى الإمام أحمد وابن ماجَهْ بسند حسن عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كانَ أوَّلَ مَن أظهَرَ إسلامَه سبعةٌ: رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبو بَكرٍ، وعمَّارٌ، وأُمُّهُ سميَّةُ، وصُهيبٌ، وبلالٌ، والمقدادُ، فأمَّا رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فمنَعَه اللهُ بعمِّهِ أبي طالبٍ، وأمَّا أبو بَكرٍ فمنَعَه اللهُ بقومِه، وأمَّا سائرُهم فأخذَهم المُشرِكون، وألبَسُوهم أَدْرَاعَ الحديدِ، وصَهَروهم في الشَّمسِ، فما منهم من أحدٍ إلَّا وقد واتَاهُم[1] علَى ما أرادوا، إلَّا بلالًا فإنَّهُ هانَت عليه نفسُه في اللهِ وَهَانَ علَى قومِه، فأخَذوهُ فأعطَوهُ الوِلْدَانَ، فجَعَلوا يَطُوفونَ بِهِ في شِعابِ مَكةَ، وَهوَ يقولُ: أحدٌ أحدٌ[2].

وروَى الإمام البخاري في «صحيحه» عن سعيد بن

---

(١) واتاهم: وافقهم. انظر: لسان العرب (١/ ٦٧).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (رقم الحديث ٣٨٣٢) وابن ماجه في سننه (رقم الحديث ١٥٠).

زيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: واللهِ، لقَدْ رَأَيْتُنِي، وإنَّ عُمَرَ لَمُوثِقِي على الإسْلَامِ[1] قَبْلَ أنْ يُسْلِمَ عُمَرُ[2].

وروَى الإمام التِّرمِذي في «جامعه» بسند صحيح عن حارثة بن مُضَرِّب قال: دخَلتُ على خَبَّابٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وقد اكتَوى في بطنه، فقال: ما أعلَمُ أحَدًا من أصحاب النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقِيَ مِنَ البَلاءِ ما لَقيتُ، لقد كُنتُ وما أجِدُ دِرهَمًا على عَهدِ رَسولِ الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[3].

وروَى الحاكم في «المُستدرَك» بسند حسن بطُرُقه وشواهده، عن أبي عُبَيدة بن محمد بن عمار بن ياسر، عن أبيه قال: أخَذ المُشرِكونَ عمَّارَ بنَ ياسِرٍ، فلم يَترُكوه حتَّى

(١) قال الحافظ في الفتح (٧/ ٥٦٩): أي رَبَطَه بسبب إسلامه؛ إهانة له وإلزامًا بالرجوع عن الحق.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصاب، باب: إسلام سعيد بن زيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (رقم الحديث ٣٨٦٢).

(٣) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه، كتاب الجنائز، باب: ما جاء في النهي عن التمني للموت (رقم الحديث ٩٩٢).

سَبَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وذَكَر آلِهتَهم بخيرٍ، ثمَّ تركوه، فلمَّا أتَى رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ما وراءَك؟» قال: شرٌّ يا رسولَ الله، ما تُرِكْتُ حتَّى نِلْتُ منك وذكَرْتُ آلِهتَهم بخيرٍ! قال: «كيف تجِدُ قلبَكَ؟» قال: مُطْمَئِنٌّ بالإيمانِ. فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن عادُوا فعُدْ»[1].

ونزل في عمار بن ياسر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قوله تعالى ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦﴾[2].

قال الحافظ في «الفتح»: والمشهور أن الآية المذكورة نزلت في عمار بن ياسر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[3].

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (رقم الحديث ٣٤٠٢) وأورده الحافظ في الفتح (١٤/ ٣٢٢) وقال: هو مرسل، ورجاله ثقات. وذكره من عدة طرق مرسلة ثم قال: وهذا المراسيل يُقوّي بعضها بعضٌ.

(٢) سورة النحل (آية ١٠٦).

(٣) انظر: فتح الباري (١٤/ ٣٢٢).

وقال الحافظ ابن رجب: وأما الإكراه على الأقوال فاتفق العلماء على صِحّته، وأن مَن أُكْرِهَ على قولِ محرَّم إكراهًا معتبَرًا، أنَّ له أن يَفتدِيَ نفسه به، ولا إثمَ عليه، وقد دل عليه قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾[1] وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعَمّار رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «إن عادُوا فعُدْ» وكان المشركون قد عذَّبوه حتى يوافِقهم على ما يُريدونه من الكفر، ففَعَل[2].

❊❊❊

(١) سورة النحل (آية ١٠٦).

(٢) انظر: جامع العلوم والحكم (٢/ ٣٧٢).

شكوى الصحابة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فلما طال العذاب على المسلمين ذهب خَبّاب بن الأَرَتّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يطلُب منه الدعاء لرفع البلاء.

فروى الإمام البخاري في «صحيحه» عن خَبّاب بن الأَرَتِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: شَكَوْنَا إلى رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً له في ظِلِّ الكَعْبَةِ[1] قُلْنَا له: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا! أَلَا تَدْعُو اللهَ لَنَا! فقالَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كانَ الرَّجُلُ فِيمَن قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ له في الأرض، فيُجْعَلُ فِيهِ، فيُجَاءُ بالمِنْشَارِ فيُوضَعُ علَى رَأْسِهِ، فيُشَقُّ باثْنَتَيْنِ، وما يَصُدُّهُ ذلكَ عن دِينِهِ، ويُمْشَطُ بأَمْشَاطِ الحَدِيدِ ما دُونَ لَحْمِهِ مِن عَظْمٍ أو عَصَبٍ، وما يَصُدُّهُ ذلكَ عن دِينِهِ، واللهِ لَيُتِمَّنَّ هذا الأمْرَ، حتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِن

(١) زاد البخاري في رواية أخرى (رقم الحديث ٣٨٥٢): وقد لَقِينا من المشركين شدة.

صَنْعَاءَ إلى حَضْرَمَوْتَ، لا يَخَافُ إلَّا اللهَ، أو الذِّئْبَ على غَنَمِهِ، ولَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»[١].

قال الحافظ في الفتح: طلب خبَّاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الدعاء من النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الكفار دالٌّ على أنهم كانوا قد اعتدَوا عليهم بالأذى ظلمًا وعدوانًا[٢].

وقال الشيخ محمد الغزالي: إن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلوات الله وسلامه عليه لم يَجْمَع أصحابه على مَغْنَم عاجل أو آجل، إنه أزاح الغِشاوة عن الأعين، فأبصَرَت الحق الذي حُجِبَت عنه دهرًا، ومسَح الرَّان عن القلوب فعَرَفَت اليقين الذي فُطِرَت عليه وحَرَمَتها الجاهلية منه، إنه وصَل البَشَرَ بربِّهم، فرَبَطَهم بنَسَبِهم العريق وسَبَبِهم الوَثيق، وكانوا قبل ذلك حَيَارَى مَحسُورين، إنه وازَن للناس بين الخلود

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام (رقم الحديث ٣٦١٢).

(٢) انظر: فتح الباري (١٤/ ٣٢٧).

والفناء، فآثَرُوا الدار الآخرة على الدار الزائلة، وخيَّرَهم بين أصنام حقيرة وإلهٍ عظيم فازدَرَوْا الأوثان المنحوتة، وتوجَّهوا للذي فطَرَ السموات والأرض، وكان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبُثُّ عناصر الثقة في قلوب رجاله، ويُفِيض عليهم ما أفاضه الله على فؤاده مِن أمل رَحِيب في انتصار الإسلام، وانتشار مبادئه، وزوال سلطان الطُّغاة أمام طلائعه المظَفَّرة في المشارق والمغارب[1].

❊❊❊

(١) انظر: فقه السيرة (ص ١٠٥) للشيخ محمد الغزالي.

الهجرة الأولى إلى الحبشة

فلما رأى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما يُصِيب أصحابه من البلاء، وما هو فيه من العافية بمكانه من الله ومِن عمِّه أبي طالب، وأنه لا يَقدِر على أن يَمنَعَهم مما هم فيه من البلاء، قال لهم: «لَوْ خَرَجْتُمْ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ؛ فَإِنَّ بِهَا مَلِكًا لَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ، وَهِيَ أَرْضُ صِدْقٍ، حَتَّى يَجْعَلَ اللهُ لَكُمْ فَرَجًا مِمَّا أَنْتُم فِيهِ!»[1] فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله إلى أرض الحبشة، مخافة الفتنة، وفرارًا إلى الله بدينهم، فكانت أول هجرة وقَعَت في الإسلام[2].

وكان مِن أسباب أَمْرِ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بالهجرة إلى الحبشة أنه نزل عليه قوله تعالى:

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٣٠١) وابن إسحاق في السيرة (١/ ٣٥٨) وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٣١٩٠) وجوَّد إسناده.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (١/ ٣٥٨).

﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ٥٦﴾[1].

قال الحافظ ابن كثير: هذا أمرٌ من الله لعباده المؤمنين بالهجرة من البلد الذي لا يَقدِرون فيه على إقامة الدين إلى أرض الله الواسعة، حيث يُمكِن إقامة دِينه؛ بأن يُوحِّدوا الله ويَعبُدوه كما أمَرَهم، ولهذا لما ضاق على المستضعَفِين بمكة مَقامُهم بها خرَجوا مهاجِرين إلى أرض الحبشة؛ ليَأمَنوا على دينهم هناك، فوجَدوا هناك خَيْرَ المُنْزِلين «أَصْحَمَة النجاشي» ملِك الحبشة رَحِمَهُ ٱللَّهُ آواهم وأيَّدَهم بنَصره، وجعَلَهم سُيُومًا[2] ببلاده[3].

قال الشيخ علي الطنطاوي: ودَعَاهم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى ما هو أشدُّ من هذا كله، إلى فراق الوطن وترك الأهل،

(١) سورة العنكبوت (آية ٥٦).

(٢) سُيُوم: يعني آمنون بلغة الحبشة. كما جاء تفسيرها في رواية أم سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا في قصة هجرتهم إلى الحبشة الهجرة الثانية.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٢٩٠).

وأن يَمشُوا فرارًا بدينهم إلى بلاد ليسُوا منها وليسَت منهم، ولا لسانها لسانُهم ولا دِينها دِينهم، إلى الحبشة، فخرَجوا من منازلهم وهجَروا أهلِيهم، ومشَوا إلى الحبشة، فلَحِقَهم أذى قريش إلى الحبشة، وأَوْغَلَت قريش في كفرها وصدِّها وعِنادها، ولكنْ هل تَقدِر قريش أن تُطْفِئ نور الله تعالى![1].

❊❊❊

(١) انظر: كتاب رجال من التاريخ (ص ١٤) للشيخ علي الطنطاوي.

عدد المهاجرين إلى الحبشة

خرَج عند ذلك جماعة من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم **متسلِّلين سرًّا إلى أرض الحبشة**؛ مخافة الفتنة وفرارًا إلى الله بدِينهم، وهي أول هجرة وقعَت في الإسلام، وذلك في رجب من السنة الخامسة للبعثة، وكانوا أحَد عشَر رجلًا وأربع نسوة، وكان أميرهم عثمان بن مظعون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأقام المسلمون في الحبشة بخَير دار عند خَير جار بقية رجب وشعبان إلى رمضان، ثم عادوا إلى مكة[(١)] كما سيأتي.

(١) انظر: سيرة ابن هشام (١/ ٣٥٩) زاد المعاد (٣/ ٢٨).

سجود كفار قريش

وفي رمضان من السنة الخامسة للبَعثة خرَج رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الحَرَم، وفيه عدد كبير من سادات وكُبراء قريش، فقام فيهم رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأخذ يَتلو سورة «النجم» فلما باغَتَهم بتلاوة هذه السورة، وقرَع آذانهم كلام إلهي رائع خَلّاب، لا يُحيط بروعته وجلالته البيان، تَفَانَوا عمَّا هم فيه، وبَقِيَ كل واحد مُصغيًا إليه، لا يَخطُر بباله شيء سواه، حتى إذا تَلَا في خواتيم هذه السورة قَوارع تَطير لها القلوب، ثم قرأ ﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ٦٢﴾[1] ثم سجَد رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يَتمالَك أحد نَفْسه حتى خَرّ ساجدًا، وفي الحقيقية كانت روعة الحق قد صَدَعَت العناد في نفوس المستكبرين والمستهزئين، فما تَمالَكوا أن يَخِرُّوا

(١) سورة النجم (آية ٦٢).

لله ساجِدِين[١].

روى الشيخان في صحيحَيهما - واللفظ للبخاري -

عن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أَوَّلُ سُورَةٍ أُنْزِلَتْ فِيهَا سَجْدَةٌ ﴿وَٱلنَّجْمِ﴾ فَسَجَدَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَجَدَ مَنْ خَلْفَهُ، إِلَّا رَجُلًا رَأَيْتُهُ أَخَذَ كَفًّا مِنْ تُرَابٍ فَسَجَدَ عَلَيْهِ، فَرَأَيْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ قُتِلَ كَافِرًا، وَهُوَ أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ[٢].

---

(١) انظر: الرحيق المختوم (ص ٩٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿فَٱسْجُدُوا لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا ۩ (٦٢)﴾ (رقم الحديث ٤٨٦٣) ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب سجود التلاوة (رقم الحديث ٥٧٦).

قال الحافظ في الفتح (٣/ ٢٥٦): ووقع في سيرة ابن إسحاق: أنه الوليد ابن المغيرة، وفيه نظر؛ لأنه لم يُقتل. وفي تفسير سُنيد «الوليد بن المغيرة، أو عتبة بن ربيعة» بالشك، وفيه نظر؛ لما أخرجه الطبراني من حديث مَخْرَمة ابن نَوفل قال: لما أظهَر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الإسلام أسلَمَ أهل مكة، حتى أنه كان لَيَقرأ السجدة فيَسجُدون، فلا يَقدِر بعضهم أن يسجُد من الزحام، حتى قَدِم رؤساء قريش؛ الوليد بن المغيرة وأبو جهل وغيرهما، وكانوا بالطائف فرجعوا، وقالوا: تَدَعون دين آبائكم! لكن في ثبوت هذا نظر. وروَى الطبري=

وروَى الإمام أحمد في «مُسنَده» بسند صحيح عن المُطَّلب بن أبي وَدَاعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: رأيتُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سجَد في «النجم» وسجَد الناس معه، ولم أسجُد معهم - وهو يومئذ مُشرِك - فلا أَدَعُ السجود فيها أبدًا[١].

❋❋❋

= من طريق أبي بشر، عن سعيد بن جُبير أن الذي رفَع التراب فسجَد عليه هو سعيد بن العاص بن أُميّة أبو أُحَيْحة. وتبعه النَّحَّاس. وذكر أبو حَيَّان شيخ شيوخنا في تفسيره أنه أبو لهب، ولم يذكُر مُستَنَده. وفي مصنَّف ابن أبي شيبه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سجَدوا في النجم إلا رجُلَين من قريش أرادَا بذلك الشهرة. وللنسائي من حديث المطَّلِب بن أبي وَدَاعة قال: قرأ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النجم، فسجَد وسجَد من معه، فرَفَعتُ رأسي وأَبَيتُ أن أسجد. ولم يكُن المُطَّلِب يومئذ أسلَمَ، ومهما ثبت من ذلك فلعل ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يَرَهُ، أو خَصَّ واحدًا بذكره لاختصاصه بأخذ الكف من التراب دون غيره.

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (رقم الحديث ١٥٤٦٤) وأورده الحافظ في الإصابة (٦/ ١٠٤) وصحح إسناده، وذكره في الفتح (٩/ ٥٩٨) وعزاه للنسائي، وصحّح إسناده.

عودة مهاجري الحبشة إلى مكة

وتَرامَت هذه الأخبار إلى مهاجرين الحبشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ولكن بصورة مختلفة تمامًا عن صورتها الحقيقية، بلَغَهم أن أهل مكة أسلَموا، وقد سجَدوا مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال المهاجرون: عشائرنا أحبُّ إلينا! فخرَجوا من الحبشة راجِعين إلى مكة، وذلك في شوّال من السنة الخامسة للبعثة، حتى إذا كانوا دون مكة بساعة تبَيَّنَت لهم الحقيقة وعرَفوا أن المشرِكين أشدَّ ما يكونون خصومًا لله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وللمسلمين، فهَمُّوا بالرجوع إلى أرض الحبشة، فقالوا: قد بَلَغْنَا مكة! فدخَلوا مكة، ولم يدخُل أحد منهم إلا مُستخفِيًا، أو في جِوَار رجل من قريش، وعاد بعضهم إلى الحبشة(١).

(١) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ٩٩) سيرة ابن هشام (١/ ٤٠٢) زاد المعاد (٣/ ٢٩).

قال الحافظ البيهقي: وقد رُوِّينا أنها نزَلَت[1] بعدما هاجَر عثمان بن عفان وعثمان بن مظعون وأصحابهما رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ إلى أرض الحبشة في الهجرة الأولى، فلما قرأها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الصلاة، وسجَد وسجَد المسلمون والمشركون، وبلَغَهم الخبر، رجَعوا، ثم هاجَروا الهجرة الثانية مع جعفر بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وذلك كان قبل المَسْرَى بسَنَتَين[2].

❊❊❊

(١) سورة النجم.

(٢) انظر: دلائل النبوة (٢/ ٣٧٠).

مفاوضات قريش مع أبي طالب في أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

ولما أيقَنَت قريش أن بَطْشها بالمستضعَفِين من المسلمين، ونَيْلها من غيرهم لم يَصْرِف الناس عن الاستجابة لدعوة الله تعالى، لجَأَت إلى أسلوب المفاوضات مرة أخرى، فذهبوا إلى أبي طالب مرة أخرى فقالوا له: يا أبا طالب، إن لك سِنًّا وشرفًا ومنزلة فينا، وإنا قد استَنْهَيْنَاكَ من ابن أخيك فلم تَنْهَهُ عنّا، وإنا والله لا نَصبِر على هذا من شَتْم آبائنا، وتَسْفِيه أحلامنا، وعَيْب آلهتنا، حتى تَكُفَّه عنّا، أو نُنازِلَه وإياك في ذلك حتى يَهْلِك أحد الفريقين.

فعظُم على أبي طالب فِراق قومه وعداوتهم، ولم يَطِبْ نفسًا بإسلام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا خِذلانه، فبعَث إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال له: يا بن أخي، إن قومك قد جاءوني فقالوا لي كذا وكذا - لِلَّذي قالوا له - فأَبْقِ عليَّ وعلى نفسك، ولا تُحَمِّلْني من الأمر ما لا أُطِيق! فظَنَّ

رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قد بَدَا لعمِّه فيه بَدَاءٌ، وأنه خاذِلُه ومُسلِمُه، وأنه قد ضعُف عن نصرته والقيام معه، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يا عَمِّ، واللهِ لو وضَعُوا الشمسَ في يَمينِي، والقَمَرَ في يَسارِي، على أنْ أَترُكَ هذا الأَمرَ، حتى يُظهِرَهُ اللهُ أو أَهلِكَ فيه، ما تَركْتُه! ثم استَعْبَرَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فبكى، ثم قام، فلما ولّى ناداه أبو طالب فقال، أَقْبِلْ يا بن أخي! فأقبَلَ عليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: اذهب يا بن أخي فقُلْ ما أَحبَبْتَ، فوالله لا أُسلِمُك لشيء أبدًا. ثم قال:

واللهِ لن يَصِلُوا إليكَ بجمعِهم
حتى أُوَسَّدَ في الترابِ دَفينا

فاصدَعْ بِأمرِك ما عليكَ غَضاضة
وأَبشِرْ وَقَرَّ بذاكَ منك عُيونا[1]

وفي رواية الحاكم في «مُستدرَكه» بسند حسن عن عَقِيل

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (١/ ٣٠٣).

ابن أبي طالب قال: جَاءَتْ قُرَيْشٌ إِلَى أَبِي طَالِبٍ فَقَالُوا: إِنَّ ابْنَ أَخِيكَ يُؤْذِينَا فِي نَادِينَا وَفِي مَجْلِسِنَا، فَانْهَهُ عَنْ أَذَانَا. فَقَالَ لِي: يَا عَقِيلُ، ائْتِ مُحَمَّدًا. قَالَ: فَانْطَلَقْتُ إِلَيْهِ، فَأَخْرَجْتُهُ مِنْ حِفْشٍ - قَالَ طَلْحَةُ: بيت صَغِيرَةٌ - فَجَاءَ فِي الظُّهْرِ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ، فَجَعَلَ يَطْلُبُ الْفَيْءَ، يَمْشِي فِيهِ مِنْ شِدَّةِ حَرِّ الرَّمْضَاءِ، فَأَتَيْنَاهُمْ، فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: إِنَّ بَنِي عَمِّكَ زَعَمُوا أَنَّكَ تُؤْذِيهِمْ فِي نَادِيهِمْ وَفِي مَجْلِسِهِمْ، فَانْتَهِ عَنْ ذَلِكَ! فَحَلَّقَ[(١)] رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبَصَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ: «مَا تَرَوْنَ هَذِهِ الشَّمْسَ؟» قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: «مَا أَنَا بِأَقْدَرَ عَلَى أَنْ أَدَعَ ذَلِكَ مِنْكُمْ عَلَى أَنْ تُشْعِلُوا مِنْهَا شُعْلَةً» فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: مَا كَذَّبْنَا ابْنَ أَخِي قَطُّ، فَارْجِعُوا[(٢)].

(١) حَلَّقَ ببصره: رفعه. انظر: النهاية (١/ ٤٠٩).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (رقم الحديث ٦٦١٠) وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم الحديث ٩٢) وحسنه.

إسلام حمزة بن عبدالمطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

أسلَمَ حمزة بن عبدالمطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في هذه الفترة في السنة السادسة للبعثة، وقيل: في السنة الثانية للبعثة.

روَى الحاكم في «المُستدرَك» بسند ضعيف عن ابن إسحاق قال: فحَدَّثني رجُل مِن أسلَمَ، وكان واعِيَهُ، أنَّ أبا جَهلٍ اعترض لرسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند الصَّفا، فآذاه وشَتَمه، وقال فيه ما يُكرَهُ من العيَب لِدِينه والتضعيف له، فلم يُكلِّمه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومَوْلاَةٌ لعبدالله بن جُدْعَان التَّيمي في مسكن لها فوق الصفا تَسمَع ذلك، ثم انصَرَف عنه، فعَمَد إلى نادي[1] قريش عند الكعبة فجلَس معهم.

ولم يَلبَث حمزة بن عبدالمطلب أن أقبَلَ متوشِّحًا[2]

(١) النادي: مجتمع القوم وأهل المجلس. يقع على المجلس وأهله. انظر: النهاية (٥/ ٣١).

(٢) توشح الرجل بثوبه وبسيفه: إذا لبسه. انظر: لسان العرب (١٥/ ٣٠٦).

قوسه، راجعًا مِن قَنْص له، وكان إذا فعَل ذلك لم يمُرّ على نادي قريش إلا وقَف وسَلَّم وتحدَّث معهم، وكان أعَزَّ قريش وأشَدَّها شَكِيمة[1] وكان يومئذ مشركًا على دِين قومه، فجاءته المولاة وقد قام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليَرجِع إلى بيته، فقالت له: يا أبا عُمارة، لو رأيتَ ما لَقِيَ ابن أخيك محمدٌ من أبي الحَكَم[2] آنفًا! وجَده هاهنا فآذاه وشتَمه وبلَغ ما يُكرَهُ ثم انصَرَف عنه، ولم يُكلِّمه محمدٌ!

فاحتَمَل حمزةَ الغضبُ؛ لِمَا أراد الله من كرامته، فخرج سريعًا لا يَقف على أحَد كما كان يَصنع، يُريد الطواف بالبيت متعمدًا لأبي جهل أن يَقَع به، فلما دخل المسجد نظَر إليه جالسًا في القوم، فأقبَل نحوه حتى إذا قام على رأسه رفَع القوس فضرَبه على رأسه ضربة مملوءة، وقامت رجال من

(١) يُقال: فلان شديد الشكيمة؛ إذا كان عزيز النفس أبيًّا قويًّا. انظر: النهاية (٢/ ٤٤٤).

(٢) هي كنية أبي جهل، قبحه الله.

قريش من بني مخزوم إلى حمزة لينصُروا أبا جهل، فقالوا: ما نَرَاك يا حمزةُ إلا صَبَأْتَ![1] فقال حمزة: وما يَمنعني وقد استبان لي ذلك منه، أنا أشهَد أنه رسول الله، وأن الذي يقول حق، فوالله لا أَنزِع، فامنَعوني إن كنتم صادقين. فقال أبو جهل: دَعُوا أبا عُمارة؛ لقد سَببتُ ابن أخيه سبًّا قبيحًا.

وَمَرَّ[2] حمزة على إسلامه، وتابَع رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ

فلما أسلَمَ حمزة عَلِمَت قريش أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قد عَزَّ وامتَنَع، وأن حمزة سيَمنَعه، فكَفُّوا عن بعض ما كانوا يَتناولونه ويَنالون منه.

---

(١) يُقال: صبأ فلان؛ إذا خرج من دين إلى دين غيره. وكانت العرب تُسمى النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ الصابئ؛ لأنه خرج من دين قريش إلى دين الإسلام. انظر: النهاية (٣/ ٣).
قلت: لم يكن صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ على دين قريش طرفه عين، وإنما كان حنيفًا مسلمًا ولم يكن من المشركين، فلم يسجد لصنم قط، أو تمسَّح به، أو ذهب إلى عَرَّاف أو كاهن، وذلك من حفظ الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ لرسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

(٢) في رواية ابن إسحاق في السيرة (١/ ٣٢٩): وتم.

ثم رجع حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **إلى بيته،** فأتاه الشيطان[(١)] فقال: أنت سيد قريش، اتبعتَ هذا الصابئَ وتركتَ دِين آبائك! لَلْموتُ خيرٌ لك مما صَنعتَ! فأقبَلَ على حمزة بَثُّهُ[(٢)] فقال: ما صَنَعتُ! اللهم إن كان رُشدًا فاجعَل تصديقه في قلبي، وإلا فاجعَل لي مما وقعتُ فيه مَخرجًا! فبات بليلة لم يَبِتْ بمثلها من وسوسة الشيطان حتى أصبح.

فغَدَا على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فقال:** ابنَ أخي، إني وقعتُ في أمر لا أعرِف المخرج منه، وإقامةُ مثلي على ما لا أدري ما هو؛ أرُشدٌ هو أم غَيٌّ شديدٌ! فحدِّثني حديثًا، فقد اشتهيتُ يا بن أخي أن تحدِّثني. فأقبَلَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذكَّره ووَعَظه وخوَّفه وبشَّره، فألقَى الله في نفسِه الإيمان كما

---

(١) أي: بوسوسته، التي لا يسلم منها إنسان.

(٢) البث: أشد الحزن. انظر: النهاية (١/ ٩٦).

ومنه قوله تعالى في سورة يوسف (آية ٨٦) على لسان يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾.

قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: أشهد إنك لصادق شهادة الصدق والعارف، فأَظْهِر يا بن أخي دِينك، فوالله ما أُحِبُّ أن لي ما أَظَلَّت السماء وإني على ديني الأول. قال: فكان حمزة ممن أعَزَّ الله به الدين(١).

❋❋❋

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (رقم الحديث ٤٩٣٩) وابن إسحاق في السيرة (١/ ٣٢٨) وقد وهمتُ فصححت إسناد القصة في اللؤلؤ المكنون، فليُستدرك من هنا.

دعاء الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بالهداية وإسلامه

روى الإمام أحمد في «مُسنَده» والترمذي في «جامعه» بسند حسن عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: إن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «اللهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ؛ بِأَبِي جَهْلٍ أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ!» فَكَانَ أَحَبُّهُمَا إِلَى اللهِ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ[(١)].

ورَوى الحاكم في «المُستدرَك» بسند صحيح عن أُمِّ المؤمنين عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: إن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ خَاصَّةً»[(٢)].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (رقم الحديث ٥٦٩٦) والترمذي في جامعه، كتاب المناقب، باب: في مناقب أبي حفص عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (رقم الحديث ٤٠١٣) وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (رقم الحديث ٤٥٣٥) وأورده الحافظ في الفتح (٧/ ٤٠٤) وصحح إسناده.

وروَى الحاكم في «المُستدرَك» بسند حسن عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: إن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «اللَّهُمَّ أَيِّدِ الدِّينَ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ»[1].

والذي يظهر أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ **أوحى إلى رسوله** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **أن أبا جهل لن يُسلِم،** ولم يُقدّر الله سبحانه هدايته، فعند ذلك خَصَّ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بالهداية. والله أعلم.

❊❊❊

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (رقم الحديث ٤٥٣٣).

تأثير الدعوة النبوية على عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

ظهَرت آثار دعوة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بالهداية في موقفه مع ليلى بنت أبي حَثْمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا فكان ليِّن الجانب جدًّا معها وهي ترتحل إلى الحبشة، وهو أمر غير معهود من عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بالمسلمين، إذ كان من أشد الناس على المسلمين.

روى الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» والحاكم في «المُستدرَك» بسند حسن عن أم عبدالله بنت أبي حَثْمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: والله إنا لَنَرْحَلُ إلى أرض الحبشة، وقد ذهب عامر[1] في بعض حاجتنا، إذ أقبل عمر بن الخطاب حتى وقف عليَّ، وهو على شِرْكه، وكنا نَلْقَى منه البلاء

(١) هو زوجها عامر بن ربيعة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من السابقين إلى الإسلام. انظر: الإصابة (٣/ ٤٦٩).

وشدة علينا، فقال: إنه لَلانطلاقُ يا أمَّ عبدالله؟ فقلت: نعم، والله لَنَخْرُجَنَّ في أرض الله؛ آذَيْتمونا وقهَرْتُمونا، حتى يَجعَل الله لنا مخرجًا. فقال: صَحِبكم الله. ورأيتُ له رِقَّةً لم أكن أراها، ثم انصرف، وقد أحزنه - فيما أُرَى - خروجُنا.

قالت: فجاء عامر من حاجته تلك، فقلت: يا أبا عبدالله، لو رأيتَ عُمَر آنفًا ورِقَّته وحُزنه علينا! قال: فيُطمَع[1] في إسلامه؟ قلت: نعم. قال: لا يُسلِم الذي رأيتِ حتى يُسلِم حِمار الخطاب! قال يائسًا منه مما كان يَرَى من غِلظته وقسوته على الإسلام[2].

❊❊❊

(١) في رواية الإمام أحمد: أَطَمِعْتِ.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في فضائل الصحابة (رقم الحديث ٣٧١) والحاكم في المستدرك (رقم الحديث ٧٠٦٩) وذكره الإمام السندي في شرحه للمسند (٢/ ٢١٥) وصحح إسناده.

قصة إسلام عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

تعددت الروايات في إسلام عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -**على ضعفها**- ويَظهَر أن الإسلام وقع في قلبه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتى تَمكّن منه شيئًا فشيئًا.

أول ما وقع في قلبه ما رواه الإمام البخاري في «صحيحه»

عن عبدالله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بيْنَما أنَا نَائِمٌ عِنْدَ آلِهَتِهِمْ، إذْ جَاءَ رَجُلٌ[1] بعِجْلٍ فَذَبَحَهُ، فَصَرَخَ به صَارِخٌ لَمْ أسْمَعْ صَارِخًا قَطُّ أشَدَّ صَوْتًا منه، يقولُ: يا جَلِيحْ! أمْرٌ نَجِيحْ! رَجُلٌ فَصِيحْ! يقولُ: لا إلَهَ إلَّا أنتَ! فَوَثَبَ القَوْمُ،

(١) قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٢/ ٧٤١): هذا الرجل هو سَوَاد بن قارِب السدوسي.
وذهب الحافظ في الفتح (٧/ ٥٧٢) إلى ما ذهب إليه الحافظ ابن كثير.
وقال الحافظ ابن عبد البر في الاستيعاب (٢/ ٢٣٣): سَوَاء بن قارِب السدوسي، كان يتكهن في الجاهلية، وكان شاعرًا، ثم أسلم.

قُلتُ: لا أبْرَحُ حتَّى أعْلَمَ ما ورَاءَ هذا، ثُمَّ نَادَى: يا جَلِيحْ! أمْرٌ نَجِيحْ! رَجُلٌ فَصِيحْ! يقولُ: لا إلَهَ إلَّا اللهُ. فَقُمْتُ، فَما نَشِبْنَا أنْ قيلَ: هذا نَبِيٌّ[(١)].

قال الإمام البيهقي: ظاهر هذه الرواية يُوهِم أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنفسه سَمِع الصارخ يصرُخ من العِجل الذي ذُبحَ، وكذلك هو صريح في رواية ضعيفة عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في إسلامه، وسائر الروايات تدُلّ على أن هذا الكاهن أخبَرَ بذلك عن رؤيته وسماعه، والله أعلم[(٢)].

ثم ساق الإمام البيهقي حديث سَوَاد بن قارِب فقال: ويُشبِه أن يكون هذا هو الكاهن[(٣)] الذي لم يُذكَر اسمه في الحديث الصحيح[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصاب، باب: إسلام عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (رقم الحديث ٣٨٦٦).
(٢) انظر: دلائل النبوة (٢/ ٢٤٥).
(٣) هو الرجل المذكور في رواية الإمام البخاري قبل قليل.
(٤) انظر: دلائل النبوة (٢/ ٢٤٨).

وقال الحافظ في الفتح: لمّح المصنِّف[١] بإيراد هذه القصة في باب إسلام عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بما جاء عن عائشة وطلحه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا عن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من أن هذه القصة كانت سبب إسلامه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[٢].

(١) أي الإمام البخاري.

(٢) انظر: فتح الباري (٧/ ٥٧٦).

عِزّة المسلمين بإسلام عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

روَى الإمام البخاري في «صحيحه» عن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ما زِلْنَا أَعِزَّةً منذُ أَسْلَمَ عُمَرُ[(١)].

قال الحافظ في الفتح: لِمَا كان فيه من الجَلَد والقوة في أمر الله تعالى[(٢)].

وروَى الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» بسند حسن عن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إن إسلام عُمَر كان فتحًا، وإن هِجرته كانت نصرًا، وإن سُلطانه[(٣)] كان رحمة[(٤)].

وروَى الحاكم في المستدرك - بسند لا بأس به - عن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: والله ما استطعنا أن نُصَلِّيَ عند الكعبة ظاهِرِين حتى أسلَمَ عُمَر[(٥)].

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب: مناقب عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (رقم الحديث ٣٦٨٤).
(٢) انظر: فتح الباري (٧/ ٤٠٤).
(٣) أي: خلافته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٤) أخرجه الإمام أحمد في فضائل الصحابة (رقم الحديث ٣٠٧).
(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك (رقم الحديث ٤٥٣٧).

عُتبة بن ربيعة يُحاور رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

لمّا أسلَمَ حمزة وعمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وقَوِى أمر الإسلام بهما، بعَثَت قريش إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُتبة ابن ربيعة ليُحاوِرَه فيُعطِيَه ويأخُذَ منه.

روَى ابن إسحاق في «السيرة» عن محمد بن كعب القُرَظِيّ قال: حُدِّثْتُ أن عُتبة بن ربيعة، وكان سيدًا، قال يومًا وهو جالس في نادي قريش، ورسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جالس في المسجد وحدَه: يا معشر قريش، ألَا أقُومُ إلى محمد فأُكَلِّمَه وأَعْرِضَ عليه أمورًا لعلّه يَقبَل بعضَها، فنُعْطِيه أيّها شاء ويَكُفّ عنا؟ - وذلك حينَ أسلَمَ حمزة، ورأَوا أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَزيدون ويَكثُرون - فقالوا: بلى يا أبا الوليد، قُمْ إليه فكَلِّمْه.

فقام إليه عُتبة، حتى جلس إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا بن أخي، إنك منّا حيثُ قد عَلِمتَ من السِّطَةِ[١] في العَشيرة والمكان في النَّسَب، وإنك قد أَتَيتَ قومك بأمر عظيم، فرَّقتَ به جماعتهم، وسفَّهْتَ به أحلامهم، وعِبْتَ به آلهتهم ودينهم، وكفَّرْتَ به مَن مضى من آبائهم، فاسمَع منّي، أَعْرِض عليك أمورًا تنظُرُ فيها لعلّك تَقبَل منها بعضها. فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قُل يا أبا الوليد أَسْمَعْ».

قال: يا بن أخي، إن كنتَ إنما تريد بما جئتَ به من هذا الأمر مالًا، جَمَعْنا لك من أموالنا حتى تكون أكثَرَنا مالًا، وإن كنتَ تريد به شَرَفًا سَوَّدْناك علينا حتى لا نَقْطَع أمرًا دونَك، وإن كنتَ تريد به مُلكًا ملَّكْناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رَئِيًّا[٢] تَراه لا تَستطيع رَدَّه عن نفسك طَلَبْنا لك الطِّبَّ، وبذَلْنا فيه أموالنا حتى نُبرِئك منه، فإنه ربما غلَب التابع[٣]

(١) وَسَطَ فلان في حسَبه سِطَةً: أي كان من خيار قومه نسبًا وأرفعهم مجدًا. انظر: لسان العرب (١٥/ ٢٩٦).

(٢) الرَّئيُّ: الجني يراه الإنسان. انظر: لسان العرب (٥/ ٨٩).

(٣) التابع من الجن: هو جِنِّيّ يَتْبَع الإنسان. انظر: لسان العرب (٢/ ١٥).

على الرجل حتى يُداوَى منه.

حتى إذا فرغ عتبة، ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَستمِع منه، قال رسول الله: «أقد فَرَغْتَ يا أبا الوليد؟» قال: نعم. فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فاسمَعْ منِّي» قال: أفعَلُ. فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾﴾[1] ثم مضى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيها يقرأها عليه، فلما سَمِعها منه عُتبة أنصَت لها وألقَى يدَيه خَلف ظهره معتمدًا عليهما يَسمَع منه، ثم انتَهى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى السجدة منها فسجد، ثم قال: «قد سَمِعْتَ يا أبا الوليد ما سَمِعْتَ، فأنتَ وذاك».

وفي رواية البيهقي في «دلائله»: حتى بلغ الرسول: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾[2] فأمسَك عُتبة على فِيه وناشَدَه الرَّحِمَ أن يَكُفّ عنه.

---

(١) سورة فصلت الآيات (١-٥).

(٢) سورة فصلت الآية (١٣).

فقام عُتبة بن ربيعة من عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وذهب إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نَحلِف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهَب به! فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءَك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني سَمِعتُ قولًا واللهِ ما سَمِعتُ مثلَه قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة، يا مَعشر قريش أَطِيعوني واجعَلُوها بي، وخَلُّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتَزِلُوه، فواللهِ لَيَكُونَنَّ لقوله الذي سَمِعتُ منه نبأ عظيم، فإن تُصِبْهُ العرب فقد كُفِيتُمُوه بغيركم، وإن يَظْهَر على العرب فَمُلْكُه مُلْكُكم وعِزُّه عِزُّكم، وكنتم أسعَدَ الناس به. قالوا: سَحَرَك واللهِ يا أبا الوليد بلسانه. قال: هذا رأيي فيه، فاصنَعُوا ما بَدَا لكم[(١)].

---

(١) أخرج قصة حوار عتبة بن ربيعة مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ابن إسحاق في السيرة (١/ ٣٣٠) والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٢٠٣ -٢٠٥) وأبو يعلى في مسنده (رقم الحديث ١٨١٨) وحسَّن إسنادها الألباني في تحقيقه لفقه السيرة (ص ١٠٨) للشيخ محمد الغزالي.

طلب قريش الآيات

عند ذلك بدأت قريش بأمر جديد مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو طلب المعجزات المادية، قال الله سبحانه: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾﴾[(١)].

قال الحافظ ابن كثير: أي: هو تعال قادر على ذلك، ولكن حكمته تعالى تَقتضي تأخير ذلك، لأنه لو أَنزَلها وَفقَ ما طلَبوه ثم لم يؤمنوا لَعاجَلهم بالعقوبة، كما فعَل بالأمم السالفة كما قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾﴾[(٢)].

قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ

---

(١) سورة الأنعام آية (٣٧).

(٢) سورة الإسراء آية (٥٩) وانظر: كلام الحافظ ابن كثير في تفسيره (٣/ ٢٥٣).

يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا ﴿٩٥﴾﴾[1] ثم قال الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ رادًّا عليهم: ﴿قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴿٩٦﴾﴾[2].

قال الحافظ ابن كثير: يقول تعالى مرشدًا نبيه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إلى الحجة على قومه في صدق ما جاءهم به: إنه شاهِدٌ عليَّ وعليكم، عالم بما جئتكم به، فلو كنتُ كاذبًا عليه انتقَم مني

(١) سورة الإسراء، الآيات (٩٠ – ٩٥).

(٢) سورة الإسراء، آية (٩٦).

أشد الانتقام، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦)﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (٩٦)﴾[٢] أي: عليم بهم بمَن يَستحقّ الإنعام والإحسان والهداية، ممّن يَستحقّ الشقاء والإضلال والإزاغة[٣].

وقال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠٩)﴾[٤].

قال الحافظ ابن كثير: يقول الله تعالى إخبارًا عن المشركين، إنهم أقسَموا بالله جَهدَ أيمانهم، أي: حلَفوا أيمانًا مؤكَّدة ﴿لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾ أي معجزة وخارق ﴿لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾ أي: ليصدقنها ﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: قُل يا محمد

(١) سورة الحاقة الآيات (٤٤ – ٤٦).
(٢) سورة الإسراء، آية (٩٦).
(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ١٢٢).
(٤) سورة الأنعام آية (١٠٩).

لهؤلاء الذين يسألونك الآيات تَعَنُّتًا وكفرًا وعنادًا، لا على سبيل الهدى والاسترشاد: إنما مَرجِع هذه الآيات إلى الله، إن شاء أجابكم، وإن شاء ترككم[(١)].

وروَى الإمام أحمد في «مسنده» والحاكم في «مستدركه» بسند صحيح عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سأل أهلُ مكةَ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنْ يَجعَلَ لهم الصَّفَا[(٢)] ذهبًا، وأنْ يُنَحِّيَ الجبالَ عنهم فيَزْرَعُوا، فقيلَ لَهُ: إنْ شِئْتَ أنْ تَسْتَأْنِيَ[(٣)] بهم، وإنْ شئْتَ أن نُؤْتِيَهُم الذي سألوا، فإنْ كفروا أُهلِكُوا كما أَهْلَكْتُ مَنْ قَبلَهُم. فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا، بل أَسْتَأْنِي بهم» فأنزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ هذِه الآيَةَ ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ﴾[(٤)].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٣١٦).

(٢) الصفا: هو أحد جبلَي المَسْعَى. والصفا في الأصل جمع صَفَاة، وهي الصخرة والحجر الأملس. انظر: النهاية (٣/ ٣٨).

(٣) أَسْتَأْنِي بهم: أَنْتَظِر ولا أُعْجِل. انظر: لسان العرب (١/ ٢٥٠).

(٤) الآية في سورة الإسراء (الآية (٥٩) والخبر أخرجه الإمام أحمد في مسنده (رقم الحديث ٢٣٣٣) والحاكم في المستدرك (رقم الحديث ٣٤١٩).

قال الحافظ ابن كثير: ولهذا اقتضَت الحكمة الإلهية والرحمة الربانية ألَّا يُجابُوا إلى ما سأَلوا؛ لأن الله عَلِمَ أنهم لا يؤمنون بذلك، فيُعاجِلهم العذاب[1].

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ

(١) انظر: البداية والنهاية (٣/ ٥٧).

﴿ٱلۡمُكَذِّبِينَ ⑪﴾[1].

قال الإمام ابن القيم: فأما الآية[2] فإن المشركين قالوا تعنتًا في كفرهم: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞ﴾ يَعنُون مَلكًا نشاهده ونراه، نَشهَد له ونُصدِّقه، وإلا فالمَلَك كان يَنزل عليه بالوحي من الله، فأجاب الله تعالى عن هذا وبيَّن الحكمة في عدم إنزال الملك على الوجه الذي اقترَحوه، بأنه لو أنزَل مَلكًا كما اقترَحوا ولم يُؤمنوا به ويُصدِّقوه، لعُوجِلُوا بالعذاب كما استَمَرّت به سُنَّته تعالى مع الكفار في آيات الاقتراح إذا جاءتهم ولم يُؤمنوا، فقال: ﴿وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾ ثم بيَّن سبحانه أنه لو أنزَل مَلكًا كما اقترَحوا لَمَا حصَل به مقصودهم.

لأنه إن أنزَله في صورته لم يَقدِروا على التلقِّي عنه، إذ البشر لا يَقدِر على مخاطبة المَلَك ومباشرته، وقد كان

(١) سورة الأنعام الآيات (٤-١١).
(٢) هي الآية رقم (٨) من سورة الأنعام.

رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وهو أقوى الخلق، إذا نزَل عليه الملَك كرب لذلك، وأَخَذَتْه البُرَحَاء[١] وتَحدَّر منه العَرَق في اليوم الشاتِي[٢].

وإن جعَله في صورة رجُلٍ حصَل لهم لَبْس؛ هل هو ملَك أم رجُل؟ فقال: ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا﴾ - أي في صورة رجُل - ﴿وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم﴾ في هذا الحال ﴿مَّا يَلۡبِسُونَ﴾ على أنفسهم حينئذ، فإنهم يقولون إذا رأَوا الملَك في صورة إنسان: هذا إنسان وليس بمَلَك. فهذا معنى الآية[٣].

❊❊❊

(١) البُرحاء: بضم الياء شدة الكرب من ثقل الوحي. انظر: النهاية (١/ ١١٣).

(٢) أخرج ذلك ضمن حديث الإفك الطويل: الإمام البخاري في صحيحه - كتاب الشهادات - باب تعديل النساء بعضهن بعضا - رقم الحديث (٢٦٦١) - وأخرجه في صحيحه في عدة مواضع - ومسلم في صحيحه - كتاب التوبة - باب في حديث الإفك، وقبول توبة القاذف - رقم الحديث (٢٧٧٠) (٥٦).

(٣) انظر: مدارج السالكين (٤/ ٣٦٤).

القرآن العظيم أعظم المعجزات

قال الله تعالى حاكيًا عن المشركين: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْأَيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾﴾[1].

قال الحافظ ابن كثير: يقول تعالى مخبِرًا عن المشركين في تعنُّتهم وطلبهم آياتٍ تُرشِدهم على أن محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسول الله كما جاء صالح بناقته، قال تعالى: ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿إِنَّمَا ٱلْأَيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: إنما أمرُ ذلك إلى الله، فإنه لو عَلِم أنكم تَهتدون لَأجابكم على سؤالكم؛ لأن ذلك

---

(١) سورة العنكبوت الآيات (٥٠-٥٢).

سهلٌ عليه يسيرٌ لَدَيه، ولكنه يَعلَم منكم أنّما قَصْدُكم التعنت والامتحان، فلا يُجيبكم إلى ذلك، ثم قال تعالى مبينًا كثرة جهلهم وسخافة عقلهم، حيث طلبوا آيات تدلُّهم على صدق محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما جاءهم به، وقد جاءهم بالكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل مِن بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، الذي هو أعظم من كل معجزة، إذ عجَزت الفُصحاء والبُلَغاء عن معارضته، بل عن معارضة عَشر سُور مِن مِثله، بل عن معارضة سورة منه(١).

وقال الإمام ابن القيم: القرآن العظيم اجتَمع فيه ما لم يَجتمع في غيره، فإنه هو الدعوة والحُجّة، وهو الدليل والمدلول عليه، وهو الشاهد والمشهود له، وهو الحَكَم والدليل، وهو الدعوى والبينة، قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾(٢) أي من ربه، وهو القرآن، وقال تعالى

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٢٨٧).
(٢) سورة هود آية (١٧).

لمن طلَب آية تدُلّ على صدق رسوله ﷺ: ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٥١ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗاۖ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٥٢﴾[١]

فأخبَر سبحانه أن الكتاب الذي أنزَلَه يَكفي مِن كل آية، ففيه الحجة والدلالة على أنه من الله سبحانه أرسَل به رسوله، وفيه بيان ما يُوجِب لمَن اتَّبَعه السعادة، ويُنجِيه من العذاب[٢].

❊❊❊

(١) سورة العنكبوت آية (٥١ – ٥٢).

(٢) انظر: مدارك السالكين (٤/ ٤٧٩).

الهجرة الثانية إلى الحبشة

خرج جعفر بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ومعه جماعات من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ إلى الحبشة في الهجرة الثانية، وذلك بعدما عادت قريش على اضطهاد مَن آمَن، وأَغْرَت سائر القبائل بمضاعفة الأذى للمسلمين، فكان عدد مَن خرَج مع جعفر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من الصحابة الكرام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ثلاثةً وثمانِين رجلًا، إن كان فيهم عمار بن ياسر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فإنه يُشَكّ في هجرته معهم، واثنَين وثمانِين رجلًا، إن لم يكُن فيهم عمار بن ياسر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ومن النساء ثماني عَشْرة امرأة[1].

قال الإمام السُّهيلي: وشَكّ ابن إسحاق في عمار بن ياسر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: هل هاجَر إلى أرض الحبشة أم لا؟ والأصح عند أهل السِّيَر، كالواقدي وابن عقبة وغيرهما، أنه لم يكن فيهم[2].

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (١/ ٣٦٨).
(٢) انظر: الروض الأنف (٢/ ٩٩).

وَهْمٌ في بعض أسماء مهاجري الحبشة

روى الإمام أحمد في «مسنده» بسند ضعيف عن عبدالله ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: بعثَنا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى النجاشي، ونحن نحو من ثمانين رجلًا، فيهم عبدالله بن مسعود، وجعفر، وعبدالله بن عُرْفُطة، وعثمان بن مظعون، وأبو موسى، فأَتَوا النجاشي... الحديث[(١)].

وقال ابن إسحاق: ثم خرَج جعفر بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وتَتابَع المسلمون، حتى اجتَمَعوا بأرض الحبشة فكانوا بها، منهم مَن خرَج بأهله معه، ومنهم مَن خرَج بنفسه لا أَهلَ له معه[(٢)].

ثم ساق ابن إسحاق أسماء الصحابة في هذه الهجرة الثانية، وذكَر منهم عدَدًا ممَّن شهد غزوة بدر الكبرى، كعثمان، والزُّبَير بن العوام، ومُصعَب بن عُمَير، وعبدالرحمن بن عوف، وعبدالله بن مسعود، وغيرهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (رقم الحديث ٤٤٠٠).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (١/ ٣٦٠).

وأصحاب هذه الهجرة الثانية للحبشة إنما قَدِموا المدينة مع جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في السنة السابعة للهجرة، وذلك حين افتتَح رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خيبر، فوَقَع الوَهْم لِابن إسحاق وغيره في ذكر عدد من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في هذه الهجرة الثانية ممن شهد غزوة بدر الكبرى.

قال الإمام ابن القيم: قد ذُكر في هذه الهجرة الثانية عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وجماعة ممن شهد بدرًا، فإما أن يكون هذا وهمًا، وإما أن يكون لهم قَدْمة أخرى قبل بدر، فيكون لهم ثلاث قَدْمات: قَدْمة قبل الهجرة، وقَدْمة قبل بدر، وقَدْمة عام خيبر، وكذلك قال ابن سعد[١] وغيره: إنهم لمّا سَمِعوا مُهَاجَر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة رجَع منهم ثلاثة وثلاثون رجلًا، ومن النساء ثماني نِسوة، فمات منهم رجلان بمكة، وحُبس بمكة سَبْعةُ نفَرٍ، وشَهِد بدرًا منهم أربعة وعشرون رجلا[٢].

❊❊❊

(١) انظر: الطبقات الكبرى (١/ ١٠٠).
(٢) انظر: زاد المعاد (٣/ ٣١-٣٢).

وَهْم في ذكر أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

وعَدَّ ابنُ إسحاق[1] أَبَا موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيمن هاجَر إلى الحبشة الهجرة الثانية، وهذا من أوهامه على جلالة قدره.

قال الحافظ ابن كثير: ذكَر محمد بن إسحاق، في جملة مَن هاجر إلى أرض الحبشة، أبا موسى الأشعري عبدالله ابن قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وما أدري ما حَمَله على ذلك! فإن هذا أمر ظاهرٌ لا يَخْفَى على مَن هو دونه في هذا الشأن، وقد أنكَر ذلك عليه الواقدي وغيره من أهل المغازي وقالوا: إن أبا موسى إنما هاجَر من اليمن إلى الحبشة إلى عند جعفر، كما جاء ذلك مصرَّحًا به في الصحيح[2] من روايته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[3].

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (١/ ٣٦١).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب: هجرة الحبشة (رقم الحديث ٣٨٧٦) ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل جعفر بن أبي طالب وأسماء بنتُ عُميس وأهل سفينتهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ (رقم الحديث ٢٥٠٥/ ١٦٩).
(٣) انظر: كلام الحافظ ابن كثير في الفصول في سيرة الرسول (ص ٥٩).

وقال الإمام ابن القيم: وليس ذلك مما يَخفَى على مَن هو دونَ محمد بن إسحاق فَضلًا عنه، وإنما نشَأ الوَهم أن أبا موسى هاجَر من اليمن إلى أرض الحبشة إلى عند جعفر وأصحابه لمّا سَمِع بهم، ثم قَدِم معهم على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخيبر، كما جاء مصرَّحًا به في الصحيح، فعَدَّ ذلك ابنُ إسحاق لأبي موسى هِجرةً، ولم يقُل إنه هاجر من مكة إلى الحبشة لِيُنْكَرَ عليه[1].

وروَى الإمام البيهقي في «دلائل النبوة» بسند صحيح عن أبي بردة، عن أبيه أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نَنْطَلِقَ مَعَ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ. قَالَ: فَقَدِمْنَا، فَبُعِثَ إِلَيْنَا، قَالَ لَنَا جَعْفَرٌ: لَا يَتَكَلَّمْ مِنْكُمْ أَحَدٌ، أَنَا خَطِيبُكُمُ الْيَوْمَ. قَالَ: فَانْتَهَيْنَا إِلَى النَّجَاشِيِّ، وَهُوَ جَالِسٌ فِي مَجْلِسِهِ، فَزَبَرَنَا[2] مَنْ عِنْدَهُ مِنَ

---

(١) انظر: زاد المعاد (٣/ ٣٤).
(٢) زَبَره: انتَهَره. انظر: لسان العرب (٦/ ١٢).

الْقِسِّيسِينَ وَالرُّهْبَانَ: اسْجُدُوا لِلْمَلِكِ. فَقَالَ جعْفَرٌ: لَا نَسْجُدُ إِلَّا لِلَّهِ. قَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: وَمَا مَنعَكَ أَنْ تَسْجُدَ؟ قَالَ: لَا نَسْجُدُ إِلَّا لِلَّهِ. قال: وَمَا ذَاكَ؟ قال: إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ بعَث إِلَيْنَا رَسُولَهُ، وَهُوَ الرَّسُولُ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ، فَأَمَرَنَا أَنْ نَعبُدَ اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَنُقِيمَ الصَّلَاةَ وَنُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَأَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ.

فَأَعْجَبَ النَّجَاشِيَّ قَوْلُهُ. قَالَ: فَمَا يَقُولُ صَاحِبُكَ فِي ابْنِ مَرْيَمَ؟ قَالَ: يَقُولُ فِيهِ: هُوَ رُوحُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَخْرَجَهُ مِنَ الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ الَّتِي لَمْ يَقْرَبْهَا بَشَرٌ. فَتَنَاوَلَ النَّجَاشِيُّ عُودًا مِنَ الْأَرْضِ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْقِسِّيسِينَ وَالرُّهْبَانِ، مَا يَزِيدُ هَؤُلَاءِ عَلَى مَا تَقُولُونَ فِي ابْنِ مَرْيَمَ مَا تَزِنُ هَذِهِ. مَرْحَبًا بِكُمْ وَبِمَنْ جِئْتُمْ مِنْ عِنْدِهِ، فَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ، وَإِنَّهُ بَشَّرَ بِهِ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وَلَوْلَا مَا أَنَا فِيهِ مِنَ الْمُلْكِ لَأَتَيْتُهُ حَتَّى أَحْمِلَ نَعْلَيْهِ، امْكُثُوا فِي أَرْضِي مَا شِئْتُمْ، وَأَمَرَ لَنَا بِطَعَامٍ وَكِسْوَةٍ.

قال الإمام البيهقي: هذا إسناد صحيح، وظاهِرُه يدُلّ على أن أبا موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان بمكة، وأنه خرَج مع جعفر ابن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى أرض الحبشة، والصحيح عن يزيد ابن عبدالله بن أبي بُردة، عن جده أبي بُردة، عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه بلَغَهم مَخرَج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهم باليمن، فخرَجوا مهاجِرِين في بضعٍ وخمسين رجلًا في سفينة، فألقَتْهُم سفينتهم إلى النجاشي بالحبشة، فوافَقُوا جعفر بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأصحابه عنده، فأمَرَهم جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالإقامة، فأقاموا حتى قَدِموا على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زمن خيبر[(١)]، فأبو موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شَهِد ما جرَى بين جعفر وبين النجاشي فأخبر عنه، ولعَلّ الراويَ وَهِم في قوله: أمَرَنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن نَنْطَلِق. والله أعلم[(٢)].

❋❋❋

---

(١) هذه رواية البخاري (رقم الحديث ٤٢٣٠) ومسلم (رقم الحديث ٢٥٠٢).

(٢) انظر: دلائل النبوة (٢/ ٣٠٠) للإمام البيهقي.

تعقُّب قريش مهاجِري الحبشة

فلما رأت قريش أن أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آمِنُون بأرض الحبشة، وأنهم أصابوا بها دارًا واستقرارًا وحُسْنَ جِوار من النجاشي، بعَثَت إلى النجاشي رجُلَين، هما: عمرو ابن العاص وعبدالله بن أبي ربيعة، ليُسْلِم لهما أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فروَى الإمام أحمد في «مسنده» بسند حسن عن أم المؤمنين أم سلَمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: لَمَّا نَزَلْنَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ جَاوَرْنَا بِهَا خَيْرَ جَارٍ، النَّجَاشِيَّ، أَمِنَّا عَلَى دِينِنَا، وَعَبَدْنَا اللهَ، لَا نُؤْذَى وَلَا نَسْمَعُ شَيْئًا نَكْرَهُهُ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ قُرَيْشًا ائْتَمَرُوا أَنْ يَبْعَثُوا إِلَى النَّجَاشِيِّ فِينَا رَجُلَيْنِ جَلْدَيْنِ[(١)] وَأَنْ يُهْدُوا لِلنَّجَاشِيِّ هَدَايَا مِمَّا يُسْتَطْرَفُ مِنْ مَتَاعِ مَكَّةَ، وَكَانَ مِنْ أَعْجَبِ مَا يَأْتِيهِ مِنْهَا إِلَيْهِ الْأَدَمُ[(٢)] فَجَمَعُوا لَهُ أَدَمًا كَثِيرًا، وَلَمْ يَتْرُكُوا

---

(١) جلدًا: أي قويًّا في نفسه وجسمه. انظر: النهاية (١/ ٢٧٥).

(٢) الأدم: الجِلد. انظر: لسان العرب (١/ ٩٦).

مِنْ بَطَارِقَتِهِ[١] بِطْرِيقًا إِلا أَهْدَوْا لَهُ هَدِيَّةً، ثُمَّ بَعَثُوا بِذَلِكَ مَعَ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْمَخْزُومِيِّ وعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ السَّهْمِيِّ، وَأَمَرُوهُمَا أَمْرَهُمْ، وَقَالُوا لَهُمَا: ادْفَعُوا إِلَى كُلِّ بِطْرِيقٍ هَدِيَّتَهُ قَبْلَ أَنْ تُكَلِّمُوا النَّجَاشِيَّ فِيهِمْ، ثُمَّ قَدِّمُوا لِلنَّجَاشِيِّ هَدَايَاهُ، ثُمَّ سَلُوهُ أَنْ يُسْلِمَهُم إِلَيْكُمْ قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَهُمْ.

قَالَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَخَرَجَا، فَقَدِمَا عَلَى النَّجَاشِيِّ، وَنَحْنُ عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ، وَعِنْدَ خَيْرِ جَارٍ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْ بَطَارِقَتِهِ بِطْرِيقٌ إِلا دَفَعَا إِلَيْهِ هَدِيَّتَهُ قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَا النَّجَاشِيَّ، ثُمَّ قَالا لِكُلِّ بِطْرِيقٍ مِنْهُمْ: إِنَّهُ قَدْ صَبَا[٢] إِلَى بَلَدِ الْمَلِكِ مِنَّا غِلْمَانٌ سُفَهَاءُ، فَارَقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكُمْ، وَجَاءُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ، لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلا أَنْتُمْ، وَقَدْ بَعَثَنَا إِلَى الْمَلِكِ

---

(١) البطارقة: جمع بطريق، وهو الحاذق بالحرب وأمورها بلغة الروم، وهو ذو منصب وتقدم عندهم. انظر: النهاية (١/ ١٣٤).

(٢) صبا إلى الشيء: مال. انظر: لسان العرب (٧/ ٢٨٤).

فِيهِم أَشْرَافُ قَوْمِهِمْ لِنَرُدَّهُم إِلَيْهِمْ، فَإِذَا كَلَّمْنَا الْمَلِكَ فِيهِمْ فَتُشِيرُوا عَلَيْهِ بِأَنْ يُسْلِمَهُم إِلَيْنَا وَلا يُكَلِّمَهُمْ، فَإِنَّ قَوْمَهُمْ أَعَلَى بِهِمْ عَيْنًا[1] وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ. فَقَالُوا لَهُمَا: نَعَمْ.

ثُمَّ إِنَّهُمَا قَرَّبَا هَدَايَاهُم إِلَى النَّجَاشِيِّ، فَقَبِلَهَا مِنْهُمَا، ثُمَّ كَلَّمَاهُ فَقَالا لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّهُ قَدْ صَبَا إِلَى بَلَدِكَ مِنَّا غِلْمَانٌ سُفَهَاءُ، فَارَقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ، وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكَ، وَجَاءُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلا أَنْتَ، وَقَدْ بَعَثَنَا إِلَيْكَ فِيهِم أَشْرَافُ قَوْمِهِمْ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَعْمَامِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ، لِتَرُدَّهُم إِلَيْهِمْ، فَهُمْ أَعَلَى بِهِمْ عَيْنًا، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ وَعَاتَبُوهُمْ فِيهِ.

قَالَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ، وَعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ مِنْ أَنْ يَسْمَعَ النَّجَاشِيُّ كَلامَهُمْ، فَقَالَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ: صَدَقُوا أَيُّهَا الْمَلِكُ، قَوْمُهُمْ أَعَلَى بِهِمْ

---

(١) قال السُّهيلي في الروض الأنف (٢/ ١١٣) أي أَبْصَر بهم، أي عَيْنُهم وإبصارهم فوق عين غيرهم في أمرهم.

عَيْنًا، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ، فَأَسْلِمْهُم إِلَيْهِمَا، فَلْيَرُدَّاهُمْ إِلَى بِلادِهِمْ وَقَوْمِهِمْ.

قَالَت: فَغَضِبَ النَّجَاشِيُّ ثُمَّ قَالَ: لَا هَيْمُ اللهِ، إِذًا لَا أُسْلِمُهُمْ إِلَيْهِمَا، وَلا أُكَادُ قَوْمًا جَاوَرُونِي، وَنَزَلُوا بِلادِي، وَاخْتَارُونِي عَلَى مَنْ سِوَايَ، حَتَّى أَدْعُوَهُمْ فَأَسْأَلَهُمْ مَاذَا يَقُولُ هَذَانِ فِي أَمْرِهِمْ، فَإِنْ كَانُوا كَمَا يَقُولانِ أَسْلَمْتُهُمْ إِلَيْهِمَا وَرَدَدْتُهُم إِلَى قَوْمِهِمْ، وَإِنْ كَانُوا عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ مَنَعْتُهُمْ مِنْهُمَا، وَأَحْسَنْتُ جِوَارَهُمْ مَا جَاوَرُونِي.

قَالَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَعَاهُمْ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُ اجْتَمَعُوا، ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَا تَقُولُونَ لِلرَّجُلِ إِذَا جِئْتُمُوهُ؟ قَالُوا: نَقُولُ وَاللهِ مَا عَلَّمَنَا وَمَا أَمَرَنَا بِهِ نَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَائِنٌ فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ. فَلَمَّا جَاءُوهُ، وَقَدْ دَعَا النَّجَاشِيُّ أَسَاقِفَتَهُ[1]

---

(١) الأسْقُف: هو عالم رئيس من علماء النصارى ورؤسائهم. انظر: النهاية (٢/ ٣٤١).

فَنَشَرُوا مَصَاحِفَهُمْ حَوْلَهُ، سَأَلَهُمْ فَقَالَ: مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي فَارَقْتُمْ فِيهِ قَوْمَكُمْ، وَلَمْ تَدْخُلُوا فِي دِينِي وَلا فِي دِينِ أَحَدٍ مِنْ هَذِهِ الأُمَمِ؟

قَالَتْ: رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَكَانَ الَّذِي كَلَّمَهُ جَعْفَرُ بنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(١) فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ؛ يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ، وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ،

---

(١) روى الإمام الترمذي في جامعه (رقم الحدث (٤٠٩٧) والإمام أحمد في مسنده (رقم الحديث ٩٣٥٣) بسند صحيح عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ما احتَذَى النِّعَال، ولا انتعَلَ، ولا رَكِبَ المَطَايَا، ولا رَكِبَ الكُورَ بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل من جعفر.
زاد الإمام أحمد: يعني في الجود والكرم.
الكُور، بضم الكاف: هو رَحْل الناقة بأداته، وهو كالسرج وآلته للفرس.
انظر: النهاية (٤/ ١٨١).
قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٤/ ٦٤٨): وهذا إسناد جيد إلى أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكأنه إنما يُفضله في الكرم، فأما الفضيلة الدينية فمعلوم أن الصديق والفاروق، بل وعثمان بن عفان أفضل منه، وأما أخوه علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فالظاهر أنهما متكافئان، أو عليّ أفضل منه.

وَعفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللهِ لِنُوَحِّدَهُ، وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ، وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالَ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَنَا بِالصَّلاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصِّيَامِ[١] - فعَدَّد عليه أمورَ الإسلام - فَصَدَّقْنَاهُ وَآمَنَّا بِهِ وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ، فَعَبَدْنَا اللهَ وَحْدَهُ، فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا، وَأَحْلَلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا، فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا، فَعَذَّبُونَا وَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا لِيَرُدُّونَا إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ عِبَادَةِ اللهِ، وَأَنْ نَسْتَحِلَّ مَا كُنَّا نَسْتَحِلُّ مِنَ الخَبَائِثِ، فَلَمَّا قَهَرُونَا وَظَلَمُونَا، وَشَقُّوا عَلَيْنَا، وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا، خَرَجْنَا إِلَى بَلَدِكَ، وَاخْتَرْنَاكَ عَلَى مَنْ سِوَاكَ، وَرَغِبْنَا فِي جِوَارِكَ، وَرَجَوْنَا أَنْ لَا نُظْلَمَ عِنْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ.

---

(١) هو مطلق الصلاة والصدقة والصيام، وليس الفرض، لأن الصلاة لم تُفرض إلا في الإسراء والمعراج، وأما الزكاة والصيام فلم تُفرض إلا في المدينة بعد الهجرة.

قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: هَلْ مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَنِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَ لَهُ جعفرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نَعمْ. فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: فَاقْرَأْهُ عَلَيَّ. فَقَرَأَ عَلَيْهِ صَدْرًا من ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ فَبَكَى وَاللهِ النَّجَاشِيُّ حَتَّى أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ[1] وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ حَتَّى أَخْضَلُوا مَصَاحِفَهُمْ حِينَ سَمِعُوا مَا تَلا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ: إِنَّ هَذَا وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى لَيَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ[2] انْطَلِقَا فَوَاللهِ لَا أُسْلِمُهُمْ إِلَيْكُم أَبَدًا، وَلا أُكَادُ.

قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَلَمَّا خَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ، قَالَ عَمْرُو ابْنُ الْعَاصِ: وَاللهِ لَأُنَبِّئَنَّهُمْ غَدًا عَيْبَهُمْ عِنْدَهُمْ، ثُمَّ أَسْتَأْصِلُ بِهِ خَضْرَاءَهُمْ[3]. فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ، وَكَانَ أَتْقَى

---

(١) أخضَلَ لحيته: بلَّها بالدموع. انظر: النهاية (٢/ ٤٤).

(٢) قال الإمام ابن القيم في بدائع الفوائد (٢/ ٥٧٠): يعني: إذا كان موسى صادقًا وكتابه حق، فهذا كذلك، إذ من المحال أن يخرج شيئان من مشكاة واحدة ويكون أحدهما باطلًا محضًا والآخر حقًّا محضًا، فإن هذا لا يكون إلا مع غاية التباين والتنافر، فالقرآن صَدَّق الكتب المتقدمة، وهي بشرت به وبمن جاء به، فقام الدليل على صدقه من الوجهين معًا، من جهة بشارة مَن تقدمه به، ومن جهة تصديقه لما تقدمه ومطابقته له. فتأمل.

(٣) خضراءهم: دهماؤهم وسَوَادهم. انظر: النهاية (٢/ ٤٠).

الرَّجُلَيْنِ فِينَا: لَا تَفْعَلْ؛ فَإِنَّ لَهُم أَرْحَامًا، وَإِنْ كَانُوا قَدْ خَالَفُونَا. قَالَ: وَاللهِ لَأُخْبِرَنَّهُ أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَبْدٌ.

قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: ثُمَّ غَدَا عَلَيْهِ الْغَدَ، فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ قَوْلًا عَظِيمًا، فَأَرْسِلِ إِلَيْهِمْ فَاسْأَلْهُمْ عَمَّا يَقُولُونَ فِيهِ. فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ يَسْأَلُهُمْ عَنْهُ.

قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: وَلَمْ يَنْزِلْ بِنَا مِثْلُهُ، فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَاذَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى إِذَا سَأَلَكُمْ عَنْهُ؟ قَالُوا: نَقُولُ وَاللهِ فِيهِ مَا قَالَ اللهُ، وَمَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَائِنًا فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ.

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالَ لَهُمْ: مَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ؟ فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: نَقُولُ فِيهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَرُوحُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ.

قَالَتْ: فَضَرَبَ النَّجَاشِيُّ يَدَهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَأَخَذَ مِنْهَا عُودًا ثُمَّ قَالَ: مَا عَدَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَا قُلْتَ هَذَا الْعُودَ. فَتَنَاخَرَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ حِينَ قَالَ مَا قَالَ، فَقَالَ: وَإِنْ نَخَرْتُمْ وَاللهِ اذْهَبُوا، فَأَنْتُمْ سُيُومٌ بِأَرْضِي - وَالسُّيُومُ: الْآمِنُونَ - مَنْ سَبَّكُمْ غُرِّمَ، ثُمَّ مَنْ سَبَّكُمْ غُرِّمَ، ثُمَّ مَنْ سَبَّكُمْ غُرِّمَ، فَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي دَبْرًا ذَهَبًا وَأَنِّي آذَيْتُ رَجُلًا مِنْكُمْ - وَالدَّبْرُ بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ: الْجَبَلُ - رُدُّوا عَلَيْهِمَا هَدَايَاهُمَا، فَلَا حَاجَةَ لَنَا بِهَا، فَوَاللهِ مَا أَخَذَ اللهُ مِنِّي الرِّشْوَةَ حِينَ رَدَّ عَلَيَّ مُلْكِي فَآخُذَ الرِّشْوَةَ فِيهِ، وَمَا أَطَاعَ النَّاسَ فِيَّ فَأُطِيعَهُمْ فِيهِ.

قَالَتْ: فَخَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ مَقْبُوحَيْنِ مَرْدُودًا عَلَيْهِمَا مَا جَاءَا بِهِ، وَأَقَمْنَا عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ مَعَ خَيْرِ جَارٍ[1].

❋❋❋

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده - رقم الحديث (١٧٤٠) (٢٢٤٩٨).

بقاء الصحابة في الحبشة

بَقِيَ جعفر بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومَن معه من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في الحبشة إلى السنة السابعة للهجرة، وذلك حين افتتح رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خيبر، كما سيأتي عند الحديث عن غزوة خيبر.

المقاطعة الجائرة

قال ابن إسحاق: فلما رأت قريش أن أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد نزلوا بلدًا أصابوا به أمنًا وقرارًا، وأن النجاشي قد منَع مَن لجأ إليه منهم، وأن عُمَر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قد أسلَمَ، فكان هو وحمزة بن عبدالمطلب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، وجعل الإسلام يفشُو في القبائل اجتَمَعوا وائتَمَروا بينهم أن يكتُبوا كتابًا يَتعاقَدون فيه على بني هاشم وبني المطلب، على أن:

١) لا يُنكِحوا إليهم ولا يُنكِحوهم.

٢) ولا يَبيعوهم شيئًا، ولا يَبتاعوا[١] منهم.

فلما اجتَمَعوا لذلك كتَبوه في صحيفة، ثم تعاهَدوا وتواثَقوا على ذلك، ثم علَّقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيدًا على أنفسهم.

---

(١) ابتاع الشيء: اشتراه. انظر: لسان العرب (١/ ٥٥٧).

فلما فعَلَت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنو المطَّلِب إلى أبي طالب بن عبدالمطلب، فدخلوا معه في شِعْبه واجتَمَعوا إليه، وخرج من بني هاشم أبو لهب عبدالعُزَّى ابن عبد المطلب إلى قريش فظاهَرَهم[1].

وروَى الشيخان في صحيحَيهما عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال لنا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونحن بمِنًى[2]: «نَحْنُ

---

(١) ظاهَرهم: عاونَهم وناصرهم. انظر: النهاية (٣/ ١٥٢).
والخبر في سيرة ابن هشام (١/ ٣٨٨).

(٢) في رواية أخرى في صحيح البخاري (رقم الحديث ١٥٨٩): حين أراد قدوم مكة.
وفي رواية أخرى في صحيح البخاري (رقم الحديث ٤٢٨٢): زمن الفتح.
وفي رواية أخرى في صحيح البخاري (رقم الحديث ٤٢٨٣): في حجته.
وفي رواية أخرى في صحيح البخاري (رقم الحديث ٤٢٨٥): حين أراد حُنينًا.
قال الحافظ في الفتح (٨/ ٣٢٨): قوله: (حين أراد حُنينًا) أي في غزوة الفتح، لأن غزوة حُنين عقب الفتح، وقد تقدم في الباب المذكور في الحج من رواية شُعيب عن الزهري بلفظ: (حين أراد قدوم مكة) ولا مغايرة بين الروايتين بطريق الجمع المذكور، لكن ذكُره هناك أيضًا من رواية الأوزاعي عن الزهري بلفظ: (قال وهو بمنى: نحن نازلون غدًا بخَيف بني كنانة) وهذا يدل على أنه قال ذلك في حجته لا في غزوة الفتح، فهو شبيه بالحديث الذي قبله في الاختلاف في ذلك، ويَحتمِل التعدُّد، والله أعلم.

نَازِلُونَ غَدًا بخَيْفِ[1] بَنِي كِنَانَةَ، حَيْثُ تَقَاسَمُوا علَى الكُفْرِ»[2] وذلكَ أنَّ قُرَيْشًا وبني كِنَانَةَ تَحَالَفَتْ على بَنِي هَاشِمٍ وبَنِي المُطَّلِبِ أَلَّا يُنَاكِحُوهُمْ ولَا يُبَايِعُوهُمْ[3] حتَّى يُسْلِمُوا[4] إِلَيْهِمُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[5].

زاد أبو داود في سُنَنه: قال الزهري: والخَيف: الوادي[6].

---

(١) الخَيف، بفتح الخاء: ما ارتفع عن مجرى السيل وانحدر عن غِلَظ الجبل. انظر: النهاية (٢/ ٨٨).

(٢) قال الإمام ابن القيم في زاد المعاد (٢/ ٣٥٧): قصد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إظهار شعار الإسلام في المكان الذي أظهروا فيه شعار الكفر والعداوة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهذه كانت عادته صلوات الله وسلامه عليه أن يقيم شعار التوحيد في مواضع شعار الكفر والشرك.

(٣) زاد أبو داود في سُنَنه: ولا يُؤوُوهم.

(٤) قال الحافظ في الفتح (٤/ ٢٤٨): يُسْلِموا، بضم أوله وإسكان المهملة وكسر اللام.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب نزول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكة (رقم الحديث ١٥٩٠) ومسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب: استحباب النزول بالمحَصَّب (رقم الحديث ١٣١٤/ ٣٤٤).

(٦) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب المناسك، باب: التحصيب (رقم الحديث ٢٠١٠).

قال الإمام النووي: ومعنى (تقاسَموا على الكفر) تحالَفوا وتعاهَدوا عليه، وهو تحالُفُهم على إخراج النبي ﷺ وبني هاشم وبني المطلب من مكة إلى هذا الشِّعب، وهو خَيف بني كنانة، وكتَبوا بينهم الصحيفة المشهورة، وكتَبوا فيها أنواعًا من الباطل وقطيعة الرحم والكفر[1].

(١) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٩/ ٥٢).

نقض الصحيفة وإنهاء المقاطعة

ثم سعى في نَقْض تلك الصحيفة الجائرة بعضُ مَن كان كارهًا لها من رجال قريش، فقام هشام بن عمرو بن الحارث فمشى إلى المُطْعِم بن عَدِيٍّ وجماعة من قريش، فأجابوه إلى ذلك، وقد أَطْلَع الله سبحانه رسولَه ﷺ على أمر صحيفتهم، وأنه أرسَلَ عليها الأَرَضَة[١] فأكَلَت جميع ما فيها مِن جَور وقطيعة وظلم، فأخبَر بذلك عمّه أبا طالب، فخرَج على قريش وأخبَرهم بما قال ابنُ أخيه ﷺ فدخلوا الكعبة وأنزَلوا الصحيفة، فإذا بها كما أخبَر رسول الله ﷺ ثم رجع بنو هاشم وبنو المطلب إلى مكة[٢].

❊❊❊

---

(١) قال الدَّمِيرِيّ في حياة الحيوان (١/ ٣٥): الأَرَضَة، بفتح الهمزة والراء والضاد المعجمة: دُوَيبة صغيرة تأكل الخشب.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (١/ ٣٨٨) زاد المعاد (١/ ٣٦-٣٨).

وفاة أبي طالب

تُوُفِّيَ أبو طالب عمُّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بعد خروجه من الشِّعْب**، وذلك في أواخر العام العاشر للبعثة - واختُلِف في تعيين الشهر - فلما اشتكى وبلَغ قريشًا ثِقَلُه قال بعضهم لبعض: انطلقوا بنا إلى أبي طالب، فليأخُذْ لنا على ابن أخيه وليُعطِهِ مِنَّا.

روَى الإمام التِّرمِذي في «جامعه» والحاكم في «مستدَركه» -واللفظ للحاكم- عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: مَرِضَ أَبُو طَالِبٍ، فَجَاءَتْ قُرَيْشٌ، فَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدَ رَأْسِ أَبِي طَالِبٍ مَجْلِسُ رَجُلٍ، فَقَامَ أَبُو جَهْلٍ كَيْ يَمْنَعَهُ ذَاكَ[1] إِلَى أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: يَا بْنَ أَخِي، مَا تُرِيدُ مِنْ قَوْمِكَ؟ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا عَمُّ، إِنَّمَا أُرِيدُ مِنْهُمْ كَلِمَةً تَذِلُّ لَهُمْ بِهَا

---

(١) يعني يمنع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الجلوس فيه.

الْعَرَبُ وَتُؤَدَّى إِلَيْهِمْ بِهَا جِزْيَةُ الْعَجَمِ» قَالَ: كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ؟ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ» قَالَ: مَا هِيَ ؟ قَالَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» قَالَ: فَقَالُوا: أَجَعَلُوا الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا! إِنْ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ! قَالَ: وَنَزَلَ فِيهِمْ: ﴿صٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ۝٧﴾[1].

وروى الشيخان في صحيحيهما عن المسيَّب بن حَزْن قال: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ وَعَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيْ عَمِّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ» فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ، وَيُعِيدَانِهِ بِتِلْكَ

---

(١) سورة ص الآيات (١-٧) - والخبر أخرجه الترمذي في جامعه، كتاب التفسير، باب: ومن سورة ص (رقم الحديث ٣٥١٢) والحاكم في المستدرك (رقم الحديث ٣٦٥٩) وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. وصححه الحاكم.

المَقَالَةِ، حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ. وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ[1]. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَاللهِ، لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ» فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾[2] وأنزل الله في أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾[3].

(١) قال الإمام ابن القيم في مدارج السالكين (٢/ ٨٩): وهل كان علَى أبي طالب عند الوفاة أضَرّ من قرناء السوء! لم يزالوا به حتى حالوا بينه وبين كلمة واحدة توجب له سعادة الأبد.

(٢) سورة التوبة آية (١١٣).

(٣) سورة القصص آية (٥٦) والخبر أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ (رقم الحديث ٤٧٧٢) ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: الدليل على صحة إسلام من حضره الموت (رقم الحديث ٢٤/ ٣٩).

قال الحافظ في الفتح (٧/ ٥٩٣): أما نزول هذه الآية الثانية فواضح في قصة أبي طالب، وأما نزول التي قبلها ففيه نظر، ويظهر أن المراد أن الآية المعلّقة بالاستغفار نزلت بعد أبي طالب بمدة، وهي عامّة في حقه وفي حق غيره. =

وروى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَمِّهِ: «قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، أَشْهَدْ لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» قَالَ: لَوْلَا أَنْ تُعَيِّرَنِي قُرَيْشٌ؛ يَقُولُونَ: إِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ الْجَزَعُ! لَأَقْرَرْتُ بِهَا عَيْنَكَ. فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[1].

قال الحافظ ابن كثير: يقول الله لرسوله، صلوات الله وسلامه عليه: إنك يا محمد ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[2] أي: ليس إليك ذلك، إنما عليك البلاغ، والله يَهدي من

= وقال في موضع آخر في الفتح (٩/ ٤٥٩): ويُؤيد تأخير النزول - أي الآية الأولى - ما تقدم في تفسير براءة من استغفاره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للمنافقين حتى نزل النهي عن ذلك، فإن ذلك يقتضي تأخير النزول وإن تقدم السبب، ويُشير إلى ذلك أيضًا قوله في حديث الباب: وأنزل الله في أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ لأنه يُشعِر أن الآية الأولى نزلت في أبي طالب وفي غيره، والثانية نزلت فيه وحده.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: الدليل على صحة إسلام مَن حضره الموت (رقم الحديث (٢٥/ ٤٢).

(٢) سورة القصص آية (٥٦).

يشاء، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة، كما قال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾[1]

وقال: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾[2].

وهذه الآية أخص من هذا كله، فإنه قال: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾[3] أي: هو أعلم بمن يَستحق الهداية ممن يَستحق الغِوَاية.

وقد ثبت في الصحيحين أنها نزلت في أبي طالب عَمِّ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد كان يحُوطه وينصُره ويقوم في صفه، ويحبه حبًّا شديدًا طبعيًّا لا شرعيًّا، فلما حضرته الوفاة وحان أجله، دعاه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الإيمان والدخول في الإسلام، فسبَق القدر فيه، واختُطِف من يده، فاستمر على ما كان عليه من الكفر، ولله الحكمة البالغة[4].

(١) سورة البقرة آية (٢٧٢).

(٢) سورة يوسف آية (١٠٣).

(٣) سورة القصص آية (٥٦).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٢٤٦).

وقال الإمام ابن القيم: قال الله تعالى لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢﴾[1] وقال ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ۝٧﴾[2] والهادي: هو الدليل الذي يدُلّ بهم في الطريق إلى الله والدار الآخرة، ولا يناقض هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾[3] فإن الله سبحانه تكلَّم بهذا وهذا، فرُسُله الهُدَاة هداية الدلالة والبيان، وهو الهادي هداية التوفيق والإلهام، فالرسل هم الأدلَّاء حقًّا، والله سبحانه هو الموفِّق المُلهِم الخالق للهدى في القلوب[4].

وقال الحافظ ابن كثير: ولم يُقدِّر الله له[5] الإيمان لِمَا له

---

(١) سورة الشورى آية (٥٢).
(٢) سورة الرعد آية (٧).
(٣) سورة فاطر آية (٨).
(٤) انظر: مدارج السالكين (٤/ ٥٢٧).
(٥) أي: لأبي طالب.

تعالى في ذلك من الحكمة العظيمة، والحجة القاطعة البالغة الدامغة التي يجب الإيمان بها والتسليم لها، ولولا ما نهانا الله عنه من الاستغفار للمشركين لَاستَغْفَرنا لأبي طالب وترَحَّمْنا عليه[1].

(١) انظر: البداية والنهاية (٣/ ١٣٨).

شفاعة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعمِّه أبي طالب

روى الشيخان في صحيحيهما عن العباس بن عبدالمطلب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ما أغْنَيْتَ عن عَمِّكَ؟ فوالله كانَ يَحُوطُكَ ويَغْضَبُ لَكَ! فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هو في ضَحْضَاحٍ[1] مِن نَارٍ، ولَوْلَا أنَا لَكانَ في الدَّرْكِ الأسْفَلِ مِنَ النَّار»[2].

ورَوى الشيخان في صحيحَيهما عن أبي سعيد الخُدْريّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: إن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذُكر عنده عمُّه أبو طالب، فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتي

---

(١) قال الحافظ في الفتح (٧/ ٥٩٢): هو استعارة، فإن الضحضاح من الماء ما يبلغ الكعب، والمعنى أنه خُفّف عنه العذاب.

(٢) أخرج البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب: قصة أبي طالب (رقم الحديث ٣٨٨٣) ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: شفاعة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه (رقم الحديث ٢٠٩/ ٣٥٧).

يَومَ القِيَامَةِ، فيُجْعَلَ في ضَحْضَاحٍ مِنَ نَّارِ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ، يَغْلِي منه دِمَاغُهُ»[1].

قال الحافظ في الفتح: والنفع الذي حصل لأبي طالب من خصائصه ببركة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[2].

❋❋❋

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب: قصة أبي طالب (رقم الحديث ٣٨٨٥) ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: شفاعة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه (رقم الحديث ٢١٠).

(٢) انظر: فتح الباري (٧/ ٥٩٤).

وفاة خديجة بنت خويلد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

تُوفِّيَت أمُّ المؤمنين خديجة بنت خُوَيلِد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في نفس العام الذي تُوُفِّيَ فيه أبو طالب، وذلك في العام العاشر للبعثة، قبل الهجرة بثلاث سنين.

قال ابن إسحاق: ثم إن خديجة بنت خُوَيلد وأبا طالب هلَكا في عام واحد[1].

وروَى الإمام البخاري في صحيحه عن عروة بن الزبير قال: تُوفِّيَت خديجة قبل مَخْرَج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة بثلاث سنين[2].

قال الحافظ في الفتح: كان موتها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قبل الهجرة بثلاث سنين، وذلك بعد المبعث على الصواب بعشر سنين[3].

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٣٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب: تزويج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (رقم الحديث ٣٨٩٦).

(٣) انظر: فتح الباري (٧/ ٥١٣).

فَضْل أم المؤمنين خديجة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا

قال الإمام الذهبي: خديجة أم المؤمنين، وسيدة نساء العالَمِين في زمانها، أم القاسم، ابنة خُوَيلد بن أَسَد بن عبدالعُزَّى بن قُصَيّ بن كِلَاب القُرشية الأَسَدية، أُمّ أولاد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأول مَن آمَن به وصدَّقه قبل كل أحد، وثبَّتَت جَأْشه، ومناقبها جَمّة، وهي ممّن كَمُل من النساء، وكانت عاقلة جليلة دَيِّنة مَصُونة كريمة، من أهل الجنة، وكان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُثني عليها، ويُفضِّلها على سائر أمهات المؤمنين، ويُبالغ في تعظيمها[(١)].

وروَى الشيخان في صحيحَيهما عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: أتى جبريلُ النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله، هذه خديجة قد أَتَت، معها إناء فيه إِدَام، أو طعام، أو شَرَاب، فإذا هي أَتَتْكَ فاقْرَأْ عليها السلام من رَبِّها[(٢)] ومِنِّي، وبشِّرْها

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ١٠٩-١١٠).

(٢) قال الإمام ابن القيم في جَلاء الأفهام (ص ٣٤٩): ومن خصائصها رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا =

ببيت في الجنة من قَصَب[١] لا صَخَبَ[٢] فيه ولا نَصَبَ[٣].

وروَى الشيخان في صحيحَيهما عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خيرُ نسائها مريم، وخيرُ نسائها خديجة»[٤].

قال الإمام النووي: الأظهر أن معناه أن كل واحدة منهما خير نساء الأرض في عصرها[٥].

= أن الله سبحانه بعث إليها السلام مع جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ فبلَّغها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك، وهذه لَعَمْرُ الله خاصَّةٌ لم تكن لِسِواها.

(١) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٥/ ١٦٢): قال جمهور العلماء: المراد به قصب اللؤلؤ المجوَّف.

(٢) قال الحافظ في الفتح (٧/ ٥١٨): الصخب: هو الصياح والمنازعة برفع الصوت.

(٣) قال الحافظ في الفتح (٧/ ٥١٨): النصب: هو التعب.
والحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب: تزويج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خديجة وفضلها (رقم الحديث ٣٨٢٠) ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب: فضائل خديجة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (رقم الحديث ٢٤٣٢).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب: تزويج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خديجة وفضلها (رقم الحديث ٣٨١٥) ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب: فضائل خديجة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (رقم الحديث ٢٤٣٠).

(٥) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (١٥/ ١٦١).

وروَى الإمام أحمد في «مُسنَده» وابن حِبّان في «صحيحه» بسند صحيح عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: خَطَّ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في الأرض أربعة خطوط فقال: «أَتَدْرُون ما هذا»؟ قالوا: الله ورسوله أعلَمُ. قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «أفضل نساء أهل الجنة: خديجة بنت خُوَيلد، وفاطمة بنت محمد، وآسِيَة بنت مُزَاحِم امرأة فرعون، ومريم ابنة عمران»[1].

وروَى الإمام أحمد في «مُسنَده» والتِّرمِذي في «جامعه» بسند صحيح عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «حَسْبُك من نساء العالمين: مريم ابنة عمران، وخديجة بنت خُوَيلد، وفاطمةُ بْنَتُ محمد، وآسِيَة امرأة فرعون»[2].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (رقم الحديث ٢٦٦٨) وابن حبان في صحيحه (رقم الحديث ٧٠١٠).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (رقم الحديث ١٢٣٩١) والترمذي في جامعه، كتاب المناقب، باب: فضل خديجة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا (رقم الحديث ٤٢١٦) وقال الترمذي: هذا حديث صحيح

إشتداد إيذاء قريش للنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بعد وفاة عمه أبي طالب

قال ابن إسحاق: فلما هلَك أبو طالب نالت قريش من رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من ما لم تكُن تَطْمَع به في حياة أبي طالب[١].

وقال الحاكم في «المُستدرَك»: تواتَرَت الأخبار أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لما مات عمه أبو طالب لَقِيَ هو والمسلمون أذى من المشركين بعد موته[٢].

وقال الحافظ ابن كثير: وعندي أن غالب ما رُوي من طَرْحِهم سَلا[٣] الجَزُور[٤] بين كَتِفَيه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وهو يُصلِّي،

---

(١) انظر: سيرة بن هشام (٢/ ٣٠).

(٢) انظر: المستدرك (٥/ ٢١٥).

(٣) السَّلاَ: هو الجلد الرقيق الذي يخرج فيه الولد من بطن أمه ملفوفًا فيه. وهو بالنسبة للآدميات يُسمى المَشِيمة. انظر: النهاية (٢/ ٣٥٧).

(٤) الجزور: البعير ذكرًا أو أنثى. انظر: النهاية (١/ ٢٥٨).

وكذلك ما أخبَرَ به عبدالله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مِن خَنْقِهم لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خنقًا شديدًا حتى حال دونه أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكذلك عَزْمُ أبي جهل - لعنه الله - على أن يَطَأَ على عنقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يُصلِّي فحِيلَ بينه وبين ذلك، مما أشبَهَ ذلك، كان بعد وفاة أبي طالب، والله أعلم[(١)].

وروَى الحاكم في «المُستدرَك» بسند جيد عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما زالت قريش كاعَّةً[(٢)] حتى تُوُفِّيَ أبو طالب»[(٣)].

وروَى ابن إسحاق في «السيرة» بسند صحيح مرسَل عن عروة بن الزبير قال: قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما نالت مني قريش شيئًا أكرَهُه حتى مات أبو طالب»[(٤)].

---

(١) انظر: البداية والنهاية (٣/ ١٤٦).
(٢) كاعَّة: جمع كاعٍّ، وهو الجبان. أراد أنهم كانوا يجبُنُون عن أذى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حياة أبي طالب، فلما مات اجترؤوا عليه. انظر: النهاية (٤/ ١٥٦).
(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (رقم الحديث ٤٢٨٩).
(٤) أخرجه ابن إسحاق في السيرة (٢/ ٣٠).

وروى الإمام أحمد في «مُسنَده» والحاكم في «المُستدرَك» بسند حسن عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: دخلت فاطمة على رسول الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وهي تبكي، فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يا بُنَيَّة، ما يُبكيك؟» قالت: يا أبتِ، ما لي لا أَبكي وهؤلاء المَلَأ من قريش في الحِجْر يَتعاقَدون باللَّات والعُزَّى ومَنَاة الثالثة الأخرى، لو قد رَأَوك لقاموا إليك فيقتلونك، وليس منهم رجل إلا وقد عَرَف نَصيبه من دمك! فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يا بُنَيَّة، ائتِني بوَضُوءٍ» فتوضأ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم خرج إلى المسجد، فلما رأَوه قالوا: ها هو ذا! فطَأْطَأوا رؤوسَهم، وسقَطَت أَذْقَانُهم بين ثُدِيِّهم فلم يَرفَعوا أبصارهم، فتَناوَل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبضة من تراب فحَصَبَهم[1] بها وقال: «شاهَت الوجوه» فما أصاب رجلًا منهم حَصَاةٌ مِن حَصَاته إلا قُتِلَ يوم بدر كافرًا[2].

(١) حصبهم: أي رماهم بالحصباء، والحصباء: الحصى الصغار. انظر: النهاية (١/ ٣٧٨).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (رقم الحديث ٢٧٦٢) والحاكم في المستدرك (رقم الحديث ٥٩٢).

وروَى الحاكم في «المُستدرَك» والإمام أحمد في «فضائل الصحابة» بسند صحيح عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لقد ضرَبُوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى غُشي عليه، فقام أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فجعل يُنادي ويقول: وَيلَكُم! أتقتُلون رجلًا أن يقول: رَبِّيَ الله! قالوا: مَن هذا؟ قالوا: هذا ابن أبي قُحَافة المَجنونُ[(١)].

وروَى الإمام البخاري في «صحيحه» عن عروة بن الزُّبَير، قال: سألتُ ابن عمرو بن العاص: أَخْبِرْني بأَشَدَّ شيء صنَعه المشركون بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قال: بينما النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصلي في حجر الكعبة، إذ أقبَلَ عُقبة بن أبي مُعَيط، فوضع ثوبه في عنقه، فخَنَقَه خنقًا شديدًا، فأقبل أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتى أخَذ بمَنْكِبِه ودفَعَه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال: أَتَقتلون رجلًا أن يقول: رَبِّيَ الله![(٢)].

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك - رقم الحديث (٤٤٧٣) - والإمام أحمد في فضائل الصحابة - رقم الحديث (٢١٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب: ما لقي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه من المشركين بمكة (رقم الحديث ٣٨٥٦).

وروَى ابن حِبّان في «صحيحه» وأبو يَعْلَى في «مُسنَده» بسند حسن عن عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: ما رأيتُ قريشًا أرادوا قَتْلَ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلا يومًا، رأيتُهم وهم جلوس في ظِلّ الكعبة، ورسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يُصلي عند المَقام، فقام إليه عُقبة بن أبي مُعَيط، فجعل رداءه في عُنُقه ثم جَذَبَهُ، حتى وَجَب[1] لِرُكْبَتَيه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وتَصايَح الناس، فظَنُّوا أنه مقتول. قال: وأقبَل أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يَشتَدّ، حتى أخَذ بضَبُعَيْ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مِن ورائه، وهو يقول: أَتَقتَلون رجلًا أن يقول: رَبِّيَ الله! ثم انصرفوا عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ[2].

وروَى الشيخان في صحيحَيهما - واللفظ لمسلم - عن عبدالله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: بينما رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يُصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس، وقد

(١) وَجَبَ: أي سقط إلى الأرض. انظر: النهاية (٥/ ١٣٥).
(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه (رقم الحديث ٦٥٦٩) وأبو يعلى في مسنده (رقم الحديث ٧٣٣٩).

نُحِرَت جَزُور بالأمس، فقال أبو جهل: أَيُّكُم يقوم إلى سَلَا جَزُور بني فلان فيأخُذُه فيَضَعُه في[1] كَتِفَيْ محمد إذا سجَد؟ فانبَعَث أَشْقَى القوم[2] فأخَذَه، فلما سجَد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وضَعَه بين كَتِفَيه. قال: فاستَضْحَكوا[3] وجعَل بعضُهم يَمِيل على بعض[4] وأنا قائم أنظُرُ، لو كانت لي مَنَعَة[5] طَرَحْتُه عن ظَهْر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ساجد ما يَرْفَع رأسه، حتى انطَلَق إنسان فأخبَر فاطمةَ، فجاءت، وهي جُوَيْرِية[6] فطَرَحْتَه عنه، ثم أقبَلَت عليهم تشتِمُهم، فلما قضى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلاته رفَع صوته ثم دعا عليهم، وكان إذا دعا دعا ثلاثًا، وإذا سأل سأل ثلاثًا، ثم

(١) في رواية الإمام البخاري: على.
(٢) هو عقبة بن أبي معيط - قبحه الله - كما جاء مصرحًا به في رواية أخرى في صحيح مسلم (رقم الحديث ١٧٩٤/ ١٠٨).
(٣) في رواية الإمام البخاري: فجعلوا يَضحَكون.
(٤) قال الحافظ في الفتح (١/ ٤٦٦): أي من كثرة الضحك.
(٥) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٢/ ١٢٨): معناه: لو كان لي قوة تَمنَع أذاهم، أو كان لي عَشِيرة بمكة تَمْنَعني.
(٦) هو تصغير جارية، يعني صغيرة.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهم عليك بقريش» ثلاث مرات، فلما سَمِعوا صوته ذهَب عنهم الضحك وخافُوا دعوته، ثم قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهم عليك بأبي جهل بن هشام، وعُتبة بن رَبيعة، وشَيبة بن رَبيعة، والوليد بن عُقبة[1] وأُمَيّة بن خلَف، وعُقبة بن أبي مُعَيط» قال عبدالله ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فوالذي بعَث محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالحق، لقد رأيتُ الذين سمَّى صَرْعَى يوم بدر[2].

وروَى الإمام أحمد في «مُسنَده» وابن ماجَهْ بسند صحيح عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء جبريل إلى النبي

---

(١) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٢/ ١٢٩): هكذا هو في جميع نسخ مسلم (الوليد بن عقبة) بالقاف، واتفق العلماء على أنه غلط، وصوابه (الوليد بن عتبة) بالتاء، كما ذكره مسلم في رواية أبي بكر بن أبي شيبة بعد هذا، وقد ذكره البخاري في صحيحه وغيره من أئمة الحديث على الصواب.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب: إذا أُلقي على ظهر المصلي قذر (رقم الحديث ٢٤٠) ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب: ما لقي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أذى المشركين والمنافقين (رقم الحديث ١٧٩٤/ ١٠٧).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذات يوم، وهو جالسٌ حزينَ، قد خُضِبَ[١] بالدماء، ضرَبه بعض أهل مكة، فقال له: ما لك ؟ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فعَل بي هؤلاء وفعلوا» فقال له جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ: أتُحِبُّ أن أُرِيكَ آيَةً؟[٢] قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نعم» فنظَر إلى شجرة من وراء الوادي فقال: ادْعُ بتلك الشجرة. فدعاها، فجاءت تَمشي حتى قامت بين يديه، فقال: مُرْهَا فَلْتَرْجِع. فأمَرها فرجَعَت إلى مكانها، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حَسْبِي»[٣].

قال الشيخ على الطنطاوي: وانطَلقوا يُؤذونه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويَتوعَّدُونه، لعل الترهيب يَفعَل فيه ما لم يَفعَل الترغيب... رمَوا في طريقه الشوك وهو ماشٍ، وألقَوا عليه أحشاء الناقة

---

(١) خُضِبَ: أي ابتُلَّ. انظر: لسان العرب (٤/ ١١٧).

(٢) قال السِّنْدي في شرح المُسنَد (٧/ ١٤١): وهذا يدل على ما لك عند الله تعالى من الكرامة والشرف الذي تَنْسَى في جنبه ما يَلْحَق بك من التعب في تبليغ الرسالة.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (رقم الحديث ١٢١١٢) وابن ماجه في سننه، كتاب الفتن، باب: الصبر على البلاء (رقم الحديث ٤٠٢٨).

وهو ساجد، ورمَوه في الطائف بالحجارة وأسَالوا دَمَه، وهَزِئوا به، وسَلَّطوا عليه سفهاءهم، فلم يُثِرْ هذا كلُّه غضَبَه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولكن أثار إشفاقه، إشفاق الكبير على الأطفال المُؤذِين والعاقل على المجانين، وكان جوابه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهم اهْدِ قومي فإنهم لا يعلمون»(١) وأوغَلَت قريش في كفرها وصَدِّها وعنادها، ولكن هل تَقدِر قريش أن تُطفِئ نور الله!(٢).

❋❋❋

---

(١) أخرج هذا الحديث بهذا اللفظ البيهقي في شعب الإيمان - رقم الحديث (١٤٤٧)، وقال: مرسل، وذكره الألباني في ضعيف الجامع - رقم الحديث (١٦٣٦) وقال: ضعيف.

وروَى ابن حبان في صحيحه - رقم الحديث (٩٧٣) بسند حسن عن سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون".

(٢) انظر: كتاب رجال من التاريخ للشيخ علي الطنطاوي (ص ١٣ - ١٤).

خروج الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الطائف

فلما اشتد البلاء برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه بعد وفاة أبي طالب، خرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الطائف رجاء أن يُؤْوُوه ويَنصُروه على قومه ويَمنَعُوه منهم، وقصَد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الطائف؛ إما لأنها المركز الثاني للقوة والسيادة في الحجاز بعد مكة، أو لأن أخواله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من جهة حَلِيمة السَّعْدية من بني ثَقِيف، فرأى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يخرُج إلى الطائف ماشيًا على قدَمَيه، ومعه مولاه زيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَلتَمِس من ثَقِيف النصر والمَنَعَة له من قومه.

***

وصول الرسول ﷺ إلى الطائف

فلما بلغ رسول الله ﷺ الطائف عمَد إلى ثلاثة إخوة هم يومئذ سادَة ثَقِيف وأشرافهم، وهم: عَبْدُ ياليلَ ومسعود وحَبِيب، أبناء عَمرو بن عُمَير، فجلَس إليهم رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الله وإلى نُصرة الإسلام، فقال أحدهم: هو يَمْرُط ثياب الكعبة إن كان الله أرسَلَك. وقال الآخَر: أمَا وجد الله أحدًا يُرسِلُه غيرك! وقال الثالث: والله لا أُكلمك أبدًا، لئن كنتَ رسولًا من الله كما تقول لأنت أعظَمُ خطرًا من أن أَرُدَّ عليك الكلام، ولئن كنتُ تَكذِب على الله ما ينبغي لي أن أُكلِّمَك.

فقام رسول الله ﷺ مِن عندِهم وقد يَئِس من نُصرة ثَقِيف، وقال لهم: «إذا فعَلتُم ما فعَلتُم فاكتُمُوا عني» فلم يفعلوا، وأقام رسول الله ﷺ بينهم عشرة أيام، فأَغْرَوا به سفهاءهم وعَبِيدهم يسبُّونه ويَصِيحون به، وآذَوه مع ذلك أشد الأذى، ونالوا منه ما لم يَنَلْه قومه، وقالوا له:

اخرُج من بلدنا. ووقف سفهاؤهم صَفَّين وجعلوا يَرمُونه بالحجارة حتى دَمِيَت قدماه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وزيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقِيهِ بنفسه حتى أصابه شِجَاج في رأسه، فانصرف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الطائف إلى مكة محزونًا.

وفي مَرْجِعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك دعا ربه بالدعاء المشهور:

«اللَّهمّ إلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعَفِينَ، وَأَنْتَ رَبِّي، إلَى مَنْ تَكِلُنِي؟ إلَى بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِي؟[1] أَمْ إلَى عَدُوٍّ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي؟ إنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ عَلَيَّ غَضَبٌ فَلَا أُبَالِي، وَلَكِنَّ عَافِيَتَكَ هِيَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وَصَلُحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، مِنْ أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبَكَ، أَوْ يَحِلَّ عَلَيَّ سُخْطُكَ، لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا بِكَ»[2].

---

(١) يتجهَّمني: أي يلقاني بالغلظة والوجه الكريه. انظر: النهاية (١/ ٣١١).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٣٢ - ٣٣) زاد المعاد (٣/ ٣٩).

نزول جبريل وملك الجبال عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ

فأرسل الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ إلى رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ جبريل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ومعه ملَك الجبال عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ يَستأْمِرُه.

فأخرج الشيخان في صحيَحيهما عن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا أنها قالت للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ، قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ[1] إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ[2] فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا

---

(١) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٢/ ١٣٠): أي: لم أَفطِن لنفسي وأنتبه لحالي وللموضع الذي أنا ذاهب إليه وفيه، إلا وأنا عند قرن الثعالب؛ لكثرة همي الذي كنتُ فيه.

(٢) اختُلف في تحديد قرن الثعالب، فقيل: هو ميقات أهل نجد قرن المنازل، وقيل غيره، والله أعلم.

أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ. فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ، ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ؟»[(١)] فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»[(٢)].

قال الحافظ ابن كثير: فما الجمع بين هذا وبين قوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾﴾[(٣)]؟

---

(١) قال الحافظ في الفتح (٦/ ٤٦٣): هما جبلا مكة: أبو قُبيس والذي يُقابله، وكأنه قُعَيقِعان.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب: إذا قال أحدكم آمين (رقم الحديث ٣٢٣١) ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب: ما لقي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أذى المشركين والمنافقين (رقم الحديث ١٧٩٥).

(٣) سورة الأنعام آية (٥٨).

فالجواب - والله أعلم - أن هذه الآية دلَّت على أنه لو كان إليه وقوع العذاب الذي يَطلُبونه، حال طلَبِهم له، لَأَوْقَعَه بهم، وأما الحديث فليس فيه أنهم سألوه وقوع العذاب بهم، بل عرَض عليه مَلَك الجبال أنه إن شاء أطبَقَ عليهم الأَخْشَبَين، وهما جَبَلَا مكة اللّذَان يَكتَنِفَانها جنوبًا وشمالًا، فلهذا استَأْنَى بهم وسأل الرفق لهم[1].

❊❊❊

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٢٦٤).

دخول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكة في جوار المُطْعِم بن عَدِيّ

رجع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى مكة، وقومُه أشَدّ ما كانوا عليه من خلافه وعَدائه، ودخَلها بجِوار المُطْعِم بن عَدِيّ.

ولم يَنْسَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا المعروف للمُطْعِم ابن عَدِيّ، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم بدر: «لو كان المُطْعِم بن عَدِيّ[1] حيًّا ثم كلَّمَني في هؤلاء النَّتْنَى[2] لتَرَكْتُهم له»[3].

---

(١) قال الإمام النووي في تهذيب الأسماء والصفات (٢/ ٢٠٦): مات المطعم بن عَدي كافرًا قبل يوم بدر، بلا خلاف بين أهل التواريخ والسير وغيرهم.

(٢) النتن: الرائحة الكريهة. انظر: لسان العرب (١٤/ ٣٦).

قال ابن الأثير في النهاية (٥/ ١٢): سماهم نتنى لكفرهم، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب: شهود الملائكة بدرًا (رقم الحديث ٤٠٢٤).

قال الإمام الذهبي: وكان المُطْعِم بن عَدِيّ هو الذي قام في نقض صحيفة القطيعة، وكان يحنُو على أهل الشِّعْب، ويَصِلُهم في السِّرِّ، وهو الذي أجار النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين رجع من الطائف حتى طاف بعُمرة[(١)].

وقال الحافظ في الفتح: قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَتَرَكْتُهم له»: أي بغير فداء[(٢)].

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٣/ ٩٥).

(٢) انظر: فتح الباري (٨/ ٦٠).

الإسراء والمعراج

أكرَم الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ رسولَه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ برحلة الإسراء والمعراج، وذلك بعد سنوات طويلة من الدعوة، وكانت هذه الرحلة المباركة بمثابة مكافأة لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ ليُبيِّن الله له مكانته ومنزلته من الله جَلَّ جَلَالُهُ.

قال الإمام ابن القيم: كانت كرامة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بالإسراء مفاجأة من غير ميعاد، ليُحمَل عنه ألم الانتظار، ويُفاجَأ بالكرامة بَغتة[1].

* ذكر الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ الإسراء في سورة الإسراء فقال تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١﴾[2] وذكر سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ المعراج في سورة

---

(١) انظر: بدائع الفوائد (٣/ ١١٦٣).

(٢) سورة الاسراء آية (١)

النجم فقال تعالى: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾[١].

قال الإمام القرطبي: ثبَت الإسراء في جميع مصنفات الحديث، ورُوي عن الصحابة في كل أقطار الإسلام، فهو من المتواتر بهذا الوجه[٢].

وقال الإمام ابن القيم: تواترت الأحاديث الصحيحة التي أجمَعَت الأمة على صحتها وقبولها بأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُرِجِ به إلى ربه، وأنه جاوَزَ السماوات السبع، وأنه تردَّد بين موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وبين الله عَزَّوَجَلَّ مرارًا في شأن الصلاة وتخفيفها[٣].

❊❊❊

---

(١) سورة النجم آية (١٢-١٨).
(٢) انظر: تفسير القرطبي (١٣/ ٧).
(٣) انظر: تهذيب السنن (٣/ ٢٥٨).

الخلاف في تحديد وقت هذه الرحلة

اختُلف في وقت رحلة الإسراء والمعراج اختلافًا كثيرًا، ولا يثبت شيء في تحديد وقتها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: لم يقُم دليل معلوم لا على شهرها ولا عَشْرها ولا عَينها، بل النقول في ذلك متقطعة ليس فيها ما يقطع به[1].

وقال الحافظ في الفتح: وقد اختُلِف في وقت المعراج، فقيل: كان قبل المبعث. وهو شاذّ، إلا إن حُمِلَ على أنه وقع حينئذ في المنام. وذهب الأكثر إلى أنه كان بعد المبعث.

ثم اختلفوا؛ فقيل: قبل الهجرة بسَنَة. قاله ابن سعد وغيره، وبه جزَم النووي، وبالَغ ابن حزم فنقَل الإجماع فيه، وهو مردود، فإن في ذلك اختلافًا كثيرًا يزيد على عشرة أقوال[2].

---

(١) نقله عنه ابن القيم في زاد المعاد (١/ ٣٦).

(٢) انظر: فتح الباري (٧/ ٢٠٢).

الإسراء والمعراج كان بجسده وروحه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قال الحافظ في الفتح: اختَلَف السلف بحسب اختلاف الأخبار الواردة، فمنهم مَن ذهب إلى أن الإسراء والمعراج وقَعَا في ليلة واحدة في اليقظة بجسد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وروحه بعد المبعث. وإلى هذا ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين، وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة، ولا ينبغي العدول عن ذلك؛ إذ ليس في العقل ما يُحِيله حتى يَحتاج إلى تأويل[١].

وقال الحافظ ابن كثير: الأكثرون من العلماء على أنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُسرِيَ ببدنه وروحه يقظة لا منامًا، ولا يُنكَر أن يكون رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى قبل ذلك منامًا ثم رآه بعده يقظة؛ لأنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان لا يَرَى رؤيا إلا جاءت مثل فَلَق الصبح، والدليل على هذا قوله جَلَّ جَلَالُهُ ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ

(١) انظر: فتح الباري (٧/ ٥٩٥).

﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾[1] فالتسبيح إنما يكون عند الأمور العظام، ولو كان منامًا لم يكن فيه كبير شيء، ولم يكُن مستعظَمًا، ولَمَا بادَرَت كفار قريش إلى تكذيبه، ولَمَا ارتَدّ جماعة ممن كان قد أسلَم.

وأيضًا فإن العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد، وقد قال عَزّ شأنه: ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾[2] وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾[3] قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هي رؤيا عَيْن أُرِيَهَا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة أُسْرِيَ به، والشجرة الملعونة شجرة الزَّقُّوم[4]. وقال تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾[5] والبصر من آلات الذات لا الروح.

---

(١) سورة الإسراء آية (١).
(٢) سورة الإسراء آية (١).
(٣) سورة الإسراء آية (٦٠).
(٤) أخرج أثر ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: الإمام البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب: المعراج (رقم الحديث ٣٨٨٨).
(٥) سورة النجم آية (١٧).

وأيضًا فإنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُمِلَ على البُرَاق، وهو دابّة بيضاء برّاقة لها لَمَعَان، وإنما يكون هذا للبدن لا للروح، لأنها لا تحتاج في حركتها إلى مَرْكَب تَرْكَب عليه، والله أعلم[١].

❊❊❊

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٤٣ - ٤٤).

قصة الإسراء والمعراج

عن أنس بن مالك، عن مالك بن صَعْصَعَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حدَّثهم عن ليلة أُسري به فقال: «بَيْنَمَا أَنَا فِي الحَطِيمِ» وربما قال: «فِي الحِجْرِ»[1] مُضْطَجِعًا، إِذْ

---

(١) قال الحافظ في الفتح (٧/ ٢٠٢): هو شك من قتادة كما بينه الإمام أحمد في مسنده (رقم الحديث ١٧٨٣٥) عن عثمان عن همام، ولفظه: «بينا أنا نائم في الحطيم» وربما قال قتادة: في الحِجر. والمراد بالحطيم هنا الحِجر، وأبعد من قال: المراد به ما بين الركن والمقام أو بين زمزم والحجر. وهو إن كان مختلفًا في الحطيم هل هو الحِجر أم لا؟ لكن المراد هنا بيان البقعة التي وقع ذلك فيها، ومعلوم أنه لم تتعدد، لأن القصة متحدة لاتحاد مخرجها، وقد وقع في أول بدء الخلق في صحيح البخاري (رقم الحديث ٣٢٠٧) بلفظ: «بينا أنا عند البيت» وهو أعم، ووقع في رواية الزهري في صحيح البخاري (رقم الحديث ٣٤٩) عن أنس عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «فُرِج سَقف بيتي وأنا بمكة» وفي رواية الواقدي بأسانيده أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُسري به من شِعب أبي طالب. وفي حديث أم هانئ عند الطبراني أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بات في بيتها، قالت: ففقدته من الليل فقال: إن جبريل أتاني. والجمع بين هذه الأقوال أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نام في بيت أم هانئ، وبيتها عند شِعب أبي طالب، ففرّج سقف بيته، وأضاف البيت إليه لكونه كان يسكنه، فنزل منه الملَك، فأخرجه من البيت إلى المسجد، فكان به مضطجعًا وبه أثر النعاس، ثم أخرجه الملك إلى باب المسجد، فأركبه البراق.

أَتَانِي آتٍ[1] فَقَدَّ»[2] قال: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «فَشَقَّ مَا بَيْنَ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ» فقلت للجارُود وهو إلى جَنْبي: ما يَعني به ؟ قال: مِن ثُغْرَة[3] نَحْرِه إلى شِعْرَتِه[4] «فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي، ثُمَّ أُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ إِيمَانًا، فَغُسِلَ قَلْبِي، ثُمَّ حُشِيَ[5] ثُمَّ أُعِيدَ، ثُمَّ أُتِيتُ بِدَابَّةٍ دُونَ الْبَغْلِ وَفَوْقَ الْحِمَارِ، أَبْيَضَ» فقال له الجارود: هو البُرَاق يا أبا حمزة؟ قال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

---

(١) قال الحافظ في الفتح (٧/ ٦٠٤): هو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(٢) القَدّ: هو القطع طولاً كالشق. انظر: النهاية (٤/ ٢٠).

(٣) الثغرة: هي نقرة النحر فوق الصدر. انظر: النهاية (١/ ٢٠٨).

(٤) قال الحافظ في الفتح (٧/ ٦٠٤): بكسر الشين، أي شعر العانة.
وفي رواية الإمام مسلم في صحيحه (رقم الحديث ١٦٤) قال: إلى أسفل بطنه.

(٥) زاد الإمام مسلم في صحيحه (رقم الحديث ١٦٤): إيمانًا وحكمة.
في رواية شريك في صحيح البخاري (رقم الحديث ٧٥١٧) قال: فحشا به صدره ولغاديده. يعني عروق حلقه.
قال الحافظ في الفتح (٧/ ٦٠٦): وقد اشتملت هذه القصة من خوارق العادة على ما يدهش سامعه فضلًا عن شاهِده، فقد جرت العادة بأن مَن شق بطنه وأخرج قلبه يموت لا محالة، ومع ذلك فلم يُوثر فيه ذلك ضررًا ولا وجعًا فضلًا عن غير ذلك.

نعم «يَضَعُ خَطْوَهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرْفِهِ»[١].

وكان البُرَاق مُسْرَجًا[٢] مُلْجَمًا[٣] فلما أراد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يَرْكَبه استَصْعَب[٤] عليه، فقال له جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَبِمُحَمَّدٍ تَفْعَلُ هَذَا! فَمَا رَكِبَكَ أَحَدٌ قَطُّ أَكْرَمُ عَلَى اللهِ مِنْهُ! فَارْفَضَّ عَرَقًا[٥].

---

(١) طَرْفه، بفتح الطاء وسكون الراء: أي بصره. انظر: لسان العرب (٨/ ١٤٥).
وأخرج ذلك إلى هذا القدر: الإمام البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب: المعراج (رقم الحديث ٣٨٨٧) ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: الاسراء برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى السماوات (رقم الحديث ١٦٤).

(٢) السَّرْج: هو رحل الدابة. انظر: المعجم الوسيط (١/ ٤٢٥).

(٣) اللجام: هو حبل أو عصا تدخل في فم الدابة، وتلزق إلى قفاه. انظر: لسان العرب (١٢/ ٢٤٢).

(٤) قال السهيلي في الروض الأنف (٢/ ١٩٤): إنما استصعب عليه لبُعد عهد البراق بركوب الأنبياء قبله، وطول الفترة بين عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ومحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(٥) فارفَضَّ عرقًا: أي جرى عَرَقه وسال. انظر: جامع الأصول (١١/ ٣٠٥).
وأخرج ذلك إلى هذا القدر الإمام أحمد في مسنده (رقم الحديث ١٢٦٧٢) والإمام الترمذي في جامعه، كتاب التفسير، باب: ومن سورة بني إسرائيل (رقم الحديث ٣٣٩٧) وإسناده صحيح.

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَرَكِبْتُهُ[1] حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ»[2].

❊❊❊

---

(١) أي البراق.

(٢) أخرج ذلك إلى هذا القدر: الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: الإسراء برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى السماوات (رقم الحديث ١٦٢/ ٢٥٩).

إمامته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

فلما دخل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المسجد الأقصى بصحبة جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ رأى الأنبياء والمرسَلين صفوفًا في المسجد الأقصى، أحياهم الله جلَّت قُدْرَته له، فقَدَّمه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ لِيَؤُمَّهم في الصلاة.

فروَى الإمام أحمد في «مُسنَده» بسند صحيح عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: فلما دخل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المسجد الأقصى قام يُصلي، ثم التفَت، فإذا النبيون أجمَعُون يُصلُّون معه[1].

وفي رواية الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فحانت الصلاة فأَمَمْتُهُم»[2].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (رقم الحديث ٢٣٢٤) وأورده الحافظ ابن كثير في تفسيره (٥/ ٢٨) وصحح إسناده.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (رقم الحديث ١٧٢).

عَرْضُ الآنية في بيت المقدس

فلما فرغ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من صلاته بالأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أُتِيَ بقَدَحين؛ أحدهما فيه لبن والآخر فيه خمر.

فروى الإمام مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثم دَخَلْت المسجد فصلَّيتُ فيه ركعتين، ثم خرَجْت، فجاءني جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ بإناء من خمر وإناء من لبن، فاخترتُ اللبن، فقال جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ: اخترْتَ الفطرة»(١).

❋❋❋

(١) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٢/ ١٨٤): فسروا الفطرة هنا بالإسلام والاستقامة، ومعناه والله أعلم: اخترت علامة الإسلام والاستقامة. وجُعِلَ اللبن علامة لكونه سهلًا طيبًا طاهرًا سائغًا للشاربين.
والحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: الإسراء برسوله إلى السماوات (رقم الحديث ١٦٢/ ٢٥٩).

صعود الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المعراج[1] إلى السماوات

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي[2] فعَرَجَ[3] بِي إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا[4] فَلَمَّا جِئْتُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا قَالَ جِبْرِيلُ لِخَازِنِ السَّمَاءِ: افْتَحْ. قال: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا جِبْرِيلُ. قَالَ: هَلْ مَعَكَ أَحَدٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، مَعِي مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقَالَ: أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟[5] قَالَ: نَعَمْ. فَلَمَّا فَتَحَ عَلَوْنَا السَّمَاءَ

---

(١) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٥/ ٤٣): المعراج هو كالسُّلَّم، ذو دَرَج يَرْقَى فيها، فصعد فيه إلى السماء الدنيا، ثم إلى بقية السموات السبع.

(٢) يعني جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(٣) العروج: الصعود. انظر: النهاية (٣/ ١٨٤).
قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٣/ ١٢١): والمقصود أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما فرغ من أمر بيت المقدس نُصِبَ له المعراج، وهو السُّلَّم، فصعد فيه إلى السماء، ولم يكن الصعود على البراق كما قد يتوهمه بعض الناس، بل كان البراق مربوطاً على باب مسجد بيت المقدس ليرجع عليه إلى مكة.

(٤) في رواية أخرى في صحيح البخاري (رقم الحديث ٣٨٨٧): قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا».

(٥) في رواية أخرى في صحيح البخاري (رقم الحديث ٣٨٨٧): وقد أُرسل إليه؟
وفي رواية الإمام مسلم في صحيحه (رقم الحديث ١٦٢/ ٢٥٩): وقد بُعث إليه؟=

الدُّنْيَا، فَإِذَا رَجُلٌ قَاعِدٌ، عَلَى يَمِينِهِ أَسْوِدَةٌ[(١)] وَعَلَى يَسَارِهِ أَسْوِدَةٌ، إِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَسَارِهِ بَكَى، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالِابْنِ الصَّالِحِ. قُلْتُ لِجِبْرِيلَ: مَنْ هَذَا؟[(٢)] قَالَ: هَذَا آدَمُ، وَهَذِهِ الأَسْوِدَةُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ نَسَمُ بَنِيهِ، فَأَهْلُ اليَمِينِ مِنْهُمْ أَهْلُ الجَنَّةِ، وَالأَسْوِدَةُ الَّتِي عَنْ شِمَالِهِ أَهْلُ النَّارِ، فَإِذَا نَظَرَ عَنْ يَمِينِهِ ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَى[(٣)].

= قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٢/ ١٨٥): مراده: وقد بُعث إليه للإسراء وصعود السموات؟ وليس مراده الاستفهام عن أصل البعثة والرسالة، فإن ذلك لا يخفى عليه إلى هذه المدة، فهذا هو الصحيح، والله أعلم.

(١) أسودة، جمع قِلّة لسواد: وهو الشخص. انظر: النهاية (٢/ ٣٧٦).

(٢) قال الحافظ في الفتح (٢/ ٧): ظاهره أنه سأل عنه بعد أن قال له آدم: مرحبًا. ورواية مالك بن صعصعة بعكس ذلك، وهي المعتمدة، فتحمل هذه عليها؛ إذ ليس في هذه أداة ترتيب.

(٣) أخرج ذلك على هذا القدر الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب: كيف فُرضت الصلاة في الإسراء (رقم الحديث ٣٤٩) ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: الإسراء برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى السماوات (رقم الحديث ١٦٣).

﴿ عُرُوجُه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى السماء الثانية ﴾

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقِيلَ: مَنَ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِابْنَيْ الْخَالَةِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ، وَيَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا، صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمَا، فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ»[١].

❊❊❊

(١) أخرج ذلك إلى هذا القدر: الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: الإسراء برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى السماوات (رقم الحديث ١٦٢/ ٢٥٩).

عُرُوجه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى السماء الثالثة

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقِيلَ: مَنَ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا هُوَ قَدِ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ»(١)

(١) قال الإمام ابن القيم في بدائع الفوائد (٣/ ١١٦٧): قالت طائفة: المراد منه أن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ أوتي شطر الحسن الذي أوتِيَهُ محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلغ الغاية في الحسن، ويوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ بلغ شطر تلك الغاية، قالوا: ويحقق ذلك ما رواه الترمذي من حديث قتادة عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ما بعث الله نبيًا إلا حسن الوجه، حسن الصوت، وكان نبيكم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحسنهم وجهًا، وأحسنهم صوتًا.

والظاهر: أن معناه أن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ اختص عن الناس بشطر الحسن، واشترك الناس كلهم في شطره، فانفرد عنهم بشطره وحده، هذا ظاهر اللفظ فلماذا يُعدل عنه؟ واللام في (الحُسن) للجنس، لا للحسن المعين المعهود المختص بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما أدري ما الذي حملهم على العدول عن هذا=

فَرَحَّبَ ودَعَا لِي بِخَيْرٍ[1].

= إلى ما ذكروه!

وحديث أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لا يُنافي هذا، بل يدل على أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كان أحسن الأنبياء عَلَيْهِمُٱلسَّلَامُ وجهًا وأحسنهم صوتًا، ولا يلزم من كونه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أحسنهم وجهًا ألا يكون يوسف عَلَيْهِٱلسَّلَامُ اختص عن الناس بشطر الحسن، واشتركوا هم في الشطر الآخر، ويكون النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قد شارك يوسف عَلَيْهِٱلسَّلَامُ فيما اختص به من الشطر، وزاد عليه بحسن آخر من الشطر الثاني، والله أعلم.

قلت: الحديث الذي ذكره الإمام ابن القيم ذكره بالمعنى، وأخرجه الإمام الترمذي في الشمائل (رقم الحديث ٣٢٠) عن قتادة، وليس عن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وإسناده مرسل ضعيف جدًّا.

(١) أخرج ذلك إلى هذا القدر: مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: الاسراء برسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلى السماوات (رقم الحديث ١٦٢/ ٢٥٩).

عُرُوجه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى السماء الرابعة

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ» ثم قرأ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾[١][٢].

❋❋❋

(١) سورة مريم آية (٥٧).

(٢) أخرج ذلك إلى هذا القدر: الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: الإسراء برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى السموات (رقم الحديث ١٦٢/ ٢٥٩).

عُرُوجُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى السماء الخامسة

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ»[1].

❊❊❊

---

(١) أخرج ذلك إلى هذا القدر: الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: الإسراء برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى السماوات (رقم الحديث ١٦٢/ ٢٥٩).

عُرُوجُه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى السماء السادسة

قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ»[١].

❋❋❋

(١) أخرج ذلك إلى هذا القدر: الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: الإسراء برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى السماوات (رقم الحديث ١٦٢/ ٢٥٩).

عُروجه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى السماء السابعة

قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ[1] وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ[2] لا يَعُودُونَ إِلَيْهِ»[3].

---

(١) قال الحافظ في الفتح (٦/ ٤٥٣): أكثر الروايات أنه في السماء السابعة.
وروَى الحاكم في المستدرك (رقم الحديث ٣٧٨٤) بسند صحيح عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «البيت المعمور في السماء السابعة، يدخله كل يوم سبعون ألف مَلَك، لا يعودون إليه حتى تقوم الساعة».

(٢) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٧/ ٤٢٧): يعني يتعبدون فيه ويطوفون، كما يطوف أهل الأرض بكعبتهم، كذلك ذاك البيت، هو كعبة أهل السماء السابعة.

(٣) أخرج ذلك إلى هذا القدر: الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: الإسراء برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى السماوات (رقم الحديث ١٦٢/ ٢٥٩).

«فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال جبريل: هَذَا أَبُوكَ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ. فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلَامَ، قَالَ: مَرْحَبًا بِالِابْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ»[(١)].

وروَى الإمام التِّرمِذي في «جامعه» بسند حسن بالشواهد عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لقيتُ إبراهيم ليلة أُسْرِيَ بي، فقال: يا محمدُ، أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السلام، وأَخْبِرْهم أن الجنة طيِّبة التُّربة، عَذْبة الماء، وأنها قِيعَانٌ[(٢)] وأن غِرَاسَها[(٣)]: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»[(٤)].

---

(١) أخرج ذلك إلى هذا القدر: الإمام البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب: المعراج (رقم الحديث ٣٨٨٧).

(٢) قال المباركفوري في تحفة الآحوذي (٩/ ٣٩٨): قيعان، بكسر القاف، جمع قاع: وهي الأرض المستوية الخالية من الشجر.

(٣) قال المباركفوري في تحفة الأحوذي (٩/ ٣٩٨): غراسها، بكسر الغَين، جمع غَرْس بالفتح: وهو ما يُغرس، أي يستره تراب الأرض من نحو البذر، لينبت بعد ذلك.

(٤) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه، كتاب الدعوات، باب: ما جاء في فضل التسبيح والتكبير والتهليل والتحميد (رقم الحديث ٣٧٦٧) وأخرجه الإمام أحمد في مسنده (رقم الحديث ٢٣٥٥٢) من حيث أبي أيوب الأنصاري.

عَرْضُ الآنِيَةِ عند البيت المعمور

قال رسول الله ﷺ: «ثُمَّ رُفِعَ لِيَ البَيْتُ المَعْمُورُ، ثُمَّ أُتِيتُ بإِنَاءٍ مِن خَمْرٍ، وإنَاءٍ مِن لَبَنٍ، وإِنَاءٍ مِن عَسَلٍ،فأَخَذْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ: هي الفِطْرَةُ الَّتي أنت عَلَيْهَا وأُمَّتُكَ»[1].

وفي رواية الإمام مسلم: قال رسول الله ﷺ: «ثُمَّ رُفِعَ لِيَ البَيْتُ المَعْمُورُ، فَقُلتُ: يا جِبْرِيلُ ما هذا؟ قالَ: هذا البَيْتُ المَعْمُورُ، يَدْخُلُهُ كُلَّ يوم سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا منه لَمْ يَعُودُوا فيه آخِرَ ما عَلَيْهِم، ثُمَّ أُتِيتُ بإناءَيْنِ؛ أَحَدُهُما خَمْرٌ والآخَرُ لَبَنٌ[2] فَعُرِضا عَلَيَّ، فاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فقِيلَ: أَصَبْتَ أصابَ اللهُ بكَ! أُمَّتُكَ علَى الفِطْرَةِ»[3].

---

(١) أخرج ذلك إلى هذا القدر: الإمام البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب: المعراج (رقم الحديث ٣٨٨٧).

(٢) قال الحافظ في الفتح (٧/ ٦١٨): أما الاختلاف في عدد الآنية وما فيها فيُحمل على أن بعض الرواة ذكَر ما لم يذكره الآخر.

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات (رقم الحديث ١٦٤/ ٢٦٤).

قال الحافظ في الفتح: يَحتمِل أن يكون السِّرُّ فيه[(١)] ما وقع في بعض طرق الإسراء أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَطِش[(٢)] فآثَرَ اللبن دون غيره؛ لِمَا فيه من حصول حاجته، دون الخمر والعسل، فهذا هو السبب الأصلي في إيثار اللبن، وصادَف مع ذلك رُجحانه عليهما من عدة جهات[(٣)].

❊❊❊

---

(١) يعني اختياره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللبن على غيره.

(٢) الطريق التي أشار إليها الحافظ أخرجها البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٣٥٦) وقال: إسناده صحيح.

(٣) انظر: فتح الباري (١١/ ٢٠٣).

سدرة المنتهى

قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «ثم ذَهَبَ بي إلى السِّدْرَةِ[1] المُنْتَهَى[2] وإذا ورَقُها كآذانِ الفِيلَةِ، وإذا ثَمَرُها كالقِلَالِ[3] فلما غشِيَها من أمرِ اللهِ ما غَشِيَ تغيَّرتْ، فما أحدٌ مِن خلْقِ اللهِ يستطيعُ

---

(١) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٢/ ١٨٥): هكذا وقع في الأصول (السدرة) بالألف واللام، وفي الروايات بعد هذا (سدرة المنتهى).

(٢) هي في السماء السابعة، وسبب تسميتها بذلك ما رواه الإمام مسلم في صحيحه (رقم الحديث ١٧٣) عن عبدالله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: لما أُسري برسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ انتهى به إلى سدرة المنتهى، وهي في السماء السادسة، إليها ينتهي ما يُعرج به من الأرض فيُقبض منها، وإليها ينتهي ما يُهبط به من فوقها فيُقبض منها.

قال الحافظ في الفتح (٧/ ٦١٥): ولا يُعارض قوله رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ إنها في السادسة ما دلت عليه بقية الأخبار أنه وصل إليها بعد أن دخل في السماء السابعة، لأنه يُحمل على أن أصلها في السماء السادسة وأغصانها وفروعها في السابعة، وليس في السادسة منها إلا أصل ساقها.

(٣) في رواية أخرى في صحيح البخاري (رقم الحديث ٣٨٨٧): «قِلال هَجَر».

والقِلَال، بكسر القاف، جمع قُلّة بضم القاف: وهي الجِرَار التي يُستقى بها.

انظر: لسان العرب (١١/ ٢٨٨).

وقال ابن الأثير في النهاية (٤/ ٩١): هَجَر: قرية قريبة من المدينة، وليست هَجَر البحرين، وكانت تعمل بها القلال، تأخذ الواحدة منها مزادة من الماء، سُميت قُلَّة لأنها تُقلّ: أي تُرفع وتُحمل.

أن يَنْعَتَها من حُسنِها»[١].

وفي رواية الإمام البخاري: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثم انطَلَق بي حتى انتَهى بي إلى سِدْرَة المُنْتَهَى، وغَشِيَها ألوانٌ لا أَدْرِي ما هي»[٢].

وفي صحيح مسلم: تلا عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قوله تعالى: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾﴾[٣] فقال: فَرَاشٌ مِن ذَهَبٍ[٤].

❊❊❊

(١) أخرج ذلك إلى هذا القدر: الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: الإسراء برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى السماوات (رقم الحديث ١٦٢/ ٢٥٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب: كيف فُرضت الصلوات في الإسراء (رقم الحديث ٣٤٩).

(٣) سورة النجم آية (١٦).

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: في ذكر سدرة المنتهى (رقم الحديث ١٧٣).

رؤيته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ على صورته الحقيقية

رأى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ على صورته التي خلَقه الله عليها عند سِدرة المُنتهى، وكان جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ يأتي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صور مختلفة، وأكثر ما يأتيه بصورة دِحْية بن خليفة الكلبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(١)].

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾﴾[(٢)] ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾[(٣)]

---

(١) روى الإمام أحمد في مسنده (رقم الحديث ٥٨٥٧) بسند صحيح عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كان جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ يأتي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صورة دحية.

(٢) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٧/ ٤٥١): هذه هي المرة الثانية التي رأى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيها جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ في صورته التي خلقه الله عليها، وكانت ليلة الإسراء.

(٣) قال الإمام ابن القيم في مدارج السالكين (٣/ ١٥١): وفي هذه الآية أسرارٌ عجيبة،=

﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾[(١)].

وروى الإمام أحمد في مسنده بسند حسن عن عبدالله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال في هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾[(٢)] قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَأَيْتُ جِبْرِيلَ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، عَلَيْهِ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ، يُنْتَثَرُ مِنْ رِيشِهِ التَّهَاوِيلُ؛ الدُّرُّ وَالْيَاقُوتُ»[(٣)].

= وهي من غوامض الآداب اللائقة بأكمل البشر، صلوات الله وسلامه عليه، تواطأ هناك بصره وبصيرته، وتوافقا وتصادقا، فما يشاهده بصره فالبصيرة مواطئة له، وما شاهدته بصيرته فهو أيضًا حق مشهود بالبصر، فتواطأ في حقه مشهد البصر والبصيرة، ولهذا كان مركوبه في مَسراه يسبق خَطْوُهُ الطَّرْف، فيضع قدمه عند منتهى طرفه.... مشاكلًا لحال راكبه، وبُعْدِ شَأْوِهِ الذي سبق به العالم أجمع في سيره، فكان قدم البراق لا تتخلف عن موضع نظره، كما كان قدمه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يتأخر عن محل معرفته.

(١) سورة النجم الآيات (١٢-١٨).

(٢) سورة النجم الآية (١٣).

(٣) التهاويل والدر والياقوت: أي الأشياء المختلفة الألوان. أراد بالتهاويل=

وقال الإمام البيهقي: وقول عائشة وابن مسعود وأبي هريرة في حملهم هذه الآيات على رؤيته جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أصح[١].

قال الحافظ ابن كثير: وهذا الذي قاله البيهقي هو الحق في هذه المسألة .... وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾[٢] إنما هو جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كما ثبت ذلك في الصحيحَين عن عائشة أم المؤمنين[٣] وعن ابن مسعود[٤] وكذلك هو في صحيح

= تزايين ريشه وما فيه من صُفرة وحُمرة وبياض وخُضرة مثل تهاويل الرياض. انظر: لسان العرب (١٥/ ١٦١).

والحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده (رقم الحديث ٣٩١٥) وأورده الحافظ ابن كثير في تفسيره (٧/ ٤٥١) وقال: وهذا إسناد جيد قوي.

(١) انظر: دلائل النبوة (٢/ ٣٨٥).

(٢) سورة النجم آية (٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب: إذا قال أحدكم آمين (رقم الحديث ٣٢٣٥) ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: معنى قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾... رقم الحديث (١٧٧/ ٢٨٧).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ (رقم الحديث ٤٨٥٦) ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب في ذكر سدرة المنتهى (رقم الحديث ١٧٤).

مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(١)] ولا يُعرَف لهم مخالف من الصحابة في تفسير هذه الآية بهذا[(٢)].

❊❊❊

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: معنى قوله الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ١٣﴾ (رقم الحديث ١٧٥).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٨).

دخول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ الجنة

قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «ثُمَّ أُدْخِلْتُ الجَنَّةَ، فَإِذَا فِيهَا جَنَابِذُ[(١)] اللُّؤْلُؤِ، وَإِذَا تُرَابُهَا المِسْكُ»[(٢)].

وروى الإمام أحمد في «مُسنَده» والتِّرمِذي في «جامعه» بسند حسن عن حُذيفة بن اليَمَان رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا قال: «وَاللهِ مَا زَايَلَا الْبُرَاقَ[(٣)] حَتَّى فُتِحَتْ لَهُمَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، فَرَأَيَا الْجَنَّةَ

(١) الجنابذ: جمع جُنبذة، وهي القبة. انظر: النهاية (١/ ٢٩٤).

(٢) أخرج ذلك إلى هذا القدر: الإمام البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: ذكر إدريس عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ (رقم الحديث ٣٣٤٢) ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: الإسراء برسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إلى السماوات (رقم الحديث ١٦٣).

(٣) في رواية الترمذي: ظهر البراق.

ومعناه: ما فارق رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وجبريل عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ ظهر البراق في صعودهما إلى السماوات. وهذا مخالف لما في صحيح مسلم (رقم الحديث ١٦٢/ ٢٥٩) من حديث أنس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء». =

وَالنَّارَ وَوَعْدَ الْآخِرَةِ أَجْمَعَ»[1].

= قال الإمام البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٣٦٥): وأما الربط فقد رويناه في حديث غيره، والبراق دابة مخلوقة، وربط الدواب عادة معهودة، وإن كان الله عَزَّوَجَلَّ لقادر على حفظها، والخبر المثبِت أولى من النافي، وبالله التوفيق.

وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٥/ ٢١): وهذا الذي قاله حذيفة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ نفي، وما أثبَتَه غيره عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من ربط الدابة بالحلقة ومن الصلاة بالبيت المقدس مقدَّم على قوله.

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (رقم الحديث ٢٣٢٨٥) والترمذي في جامعه، كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة بني إسرائيل (رقم الحديث ٣٤١٤) وقال: حديث حسن صحيح.

رؤية النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهر الكوثر

روى الإمام البخاري في «صحيحه» عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: لَمَّا عُرِجَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى السَّمَاءِ قَالَ: «أَتَيْتُ عَلَى نَهَرٍ حَافَتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ مُجَوَّفًا، فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الكَوْثَرُ»(١).

وروَى أبو داود في «سُننه» بسند صحيح عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: لَمَّا عُرِجَ بِنَبِيِّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْجَنَّةِ، أَوْ كَمَا قَالَ: عُرِضَ لَهُ نَهْرٌ حَافَتَاهُ الْيَاقُوتُ الْمُجَيَّبُ(٢) - أَوْ قَالَ: الْمُجَوَّفُ - فَضَرَبَ الْمَلَكُ الَّذِي مَعَهُ يَدَهُ، فَاسْتَخْرَجَ مِسْكًا، فَقَالَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْمَلَكِ الَّذِي مَعَهُ: «مَا هَذَا؟» قَالَ: الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ(٣).

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب: سورة ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾ (رقم الحديث ٤٩٦٤).

(٢) المُجَيَّب، مشددًا، هو من قولهم: جَيَّب يُجيّب فهو مُجيّب: أي مُقوَّر. وكذلك بالواو. انظر: النهاية (١/ ٣١٢).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب: في الحوض (رقم الحديث ٤٧٤٨).

لقاء الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بربه سبحانه[1] وفرض الصلوات[2]

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثُمَّ عُرِجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوَى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الأَقْلَامِ[3] فَأَوْحَى اللهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ:

---

(١) قال الإمام ابن القيم في مدارج السالكين (٣/ ١٥٣): فلم يزل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في خَفَارة كمال أدبه مع الله سبحانه، وتكميل مرتبة عبوديته له، حتى خرق حُجب السماوات، وجاوز السبع الطباق، وجاوز سدرة المنتهى، ووصل إلى محل من القُرب سبق به الأولين والآخرين، فانصبَّت إليه هناك أقسام القرب انصبابًا، وانقشعت عنه سحائب الحُجب ظاهرًا وباطنًا حجابًا حجابًا، وأقيم مقامًا غبطه به الأنبياء والمرسلون.
الخفَر: بالتحريك شدة الحياء. انظر: لسان العرب (٤/ ١٥٢).

(٢) قال الإمام القرطبي في تفسيره (١٣/ ١٠): ولا خلاف بين أهل العلم وجماعة أهل السير أن الصلاة إنما فُرضت على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمكة في حين الإسراء حين عُرِج به إلى السماء.

(٣) أخرج ذلك إلى هذا القدر: الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب: كيف فرضت الصلوات في الإسراء (رقم الحديث ٣٤٩) ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: الإسراء برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى السماوات (رقم الحديث ١٦٣/ ٢٦٣).

خَمْسِينَ صَلَاةً. قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ؛ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ»[1].

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي فَقُلْتُ: يَا رَبِّ، خَفِّفْ عَلَى أُمَّتِي! فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا. قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ».

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَبَيْنَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ، فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً[2] وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ

---

(١) في رواية أخرى في صحيح البخاري (رقم الحديث ٣٢٠٧): قال موسى عليه السلام: أنا أعلم الناس منك، عالجتُ بني إسرائيل أشد المعالجة، وإن أمتك لا تُطيق.

(٢) في رواية الإمام الترمذي في جامعه (رقم الحديث ٢١١) بسند صحيح: قال أنس رضي الله عنه: ثم نُودي: يا محمد، أنه لا يُبدل القول لدي، وإن لك بهذا الخمس خمسين.

حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً»[(١)].

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ» فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ»[(٢)].

❀❀❀

---

(١) قال الحافظ في الفتح (٧/ ٦١٩): هذا من أقوى ما استدل به على أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كلم نبيه محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة الإسراء بغير واسطة.
وقال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٣/ ١٢٢): فحصل له التكليم من الرب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ليلتئذ، وأئمة السنة كالمُطْبِقين على هذا.

(٢) أخرج ذلك إلى هذا القدر: الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: الإسراء برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى السماوات (رقم الحديث ١٦٢/ ٢٥٩).

الراجح أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم ير ربه ليلة المعراج

اختَلَف السلف والخلف؛ هل رأى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربَّه ليلة المعراج أم لا ؟ على قولَين مشهورَين.

قال الحافظ في الفتح: ذهبت عائشة[(١)] وابن مسعود[(٢)] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إلى إنكارها، واختُلف على أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(٣)] ثم اختَلَفوا؛ هل رآه بعَينه أو بقلبه ؟

فجاءت عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أخبار مطلَقة[(٤)] وأخرى

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: سورة النجم (رقم الحديث ٤٨٥٥) ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ (رقم الحديث ١٧٧ / ٢٨٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾ (رقم الحديث ٤٨٥٧) ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: ذكر سدرة المنتهى (رقم الحديث ١٧٤).

(٣) أخرجهما الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: في قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «نورًا أنى أراه» (رقم الحديث ١٧٨ / ٢٩١، ٢٩٢).

(٤) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه، كتاب التفسير، باب: ومن سورة النجم (رقم الحديث ٣٥٦٤) وابن حبان في صحيحه (رقم الحديث ٥٧) وإسناده حسن.

مقيَّدة[١] فيجب حَمْلُ مُطلَقها على مُقَيَّدها[٢].

وقال الحافظ ابن كثير: ولا يصح في ذلك شيء[٣] عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وقول البغوي في تفسيره[٤]: وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه، وهو قول أنس والحسن وعكرمة. فيه نظر، والله أعلم[٥].

وقال الإمام البيهقي: وفي حديث شَرِيك[٦] زيادة[٧] تفرَّد

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان: باب: معنى قوله الله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ (رقم الحديث ١٧٦/ ٢٨٤، ٢٨٥).

(٢) انظر: فتح الباري (٩/ ٥٨٩).

(٣) يعني رُؤية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ليلة المعراج.

(٤) انظر: تفسير البغوي (٤/ ٢٤٣).

(٥) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٤٤٨).

(٦) حديث شريك أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب: ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ (رقم الحديث ٧٥١٧).

(٧) الزيادة هي: «ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى».
قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٥/ ٧): إن شريك بن عبدالله بن أبي نَمِر اضطرب في هذا الحديث، وساء حفظه ولم يضبطه.

بها على مذهب مَن زعَم أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى ربَّه عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقول عائشة وابن مسعود وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في حَمْلِهم هذه الآيات على رؤيته جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ أصح[١].

قال الحافظ ابن كثير معلِّقًا على كلام البيهقي: وهذا الذي قاله البيهقي هو الحق في هذه المسألة[٢].

وقال الإمام ابن القيم: واختَلَف السلف والخلَف: هل حصَل هذا لسيد ولد آدم صلوات الله وسلامه عليه؟

فالأكثرون على أنه لم يَرَهُ سبحانه، وحكاه عثمان بن سعيد الدارِمي إجماعًا من الصحابة، فمَن ادعَى كشف العَيَان البصري عن الحقيقة الإلهية فقد وَهِمَ وأخطأ، وإن قال: إنما هو كشف العَيَان القلبي، بحيث يصير سبحانه كأنه مَرْئِيّ للعبد، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اعبُدْ اللهَ

(١) انظر: دلائل النبوة (٢/ ٣٨٥).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٨).

كأنك تَرَاه»[١] فهذا حق، وهو قوة يقين ومزيد علم فقط.

نعم، قد يَظهر له نور عظيم، فيَتوهّم أن ذلك نور الحقيقة وأنها تجلَّت له، وذلك غلَط أيضًا، فإن نور الرب تعالى لا يقوم له شيء، ولما ظهر للجبل منه أدنى شيء ساخ[٢] الجبل وتَدَكْدَكَ[٣].

وقال الإمام الذهبي: ولم يأتنا نص جَلِيّ بأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى الله تعالى بعَينيه، وهذه المسألة مما يَسَع المرءَ المسلمَ في دينه السكوتُ عنها، فأما المنام فجاءت من وجوه متعددة مستفيضة، وأما رُؤية الله عَيَانًا في الآخرة فأمر مُتيقَّن تواتَرَت به النصوص[٤].

---

(١) أخرج هذا الحديث: البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: سؤال جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الإيمان (رقم الحديث ٥٠) ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: بيان الإيمان والإسلام (رقم الحديث ٩).

(٢) ساخ: انخسف. انظر: لسان العرب (٦/ ٤١٩).

(٣) انظر: مدارج السالكين (٤/ ١١٩).

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ١٦٧).

رجوع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى مكة وإخبار الناس بمَسْرَاه

ثم هبط جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من السماوات إلى المسجد الأقصى، ثم رَكِبَا البُرَاق وعادَا إلى مكة قبل الصبح.

روى الإمام أحمد في «مُسنَده» بسند صحيح عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: أُسْرِيَ بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى بيت المقدس، ثم جاء من ليلته، فحدَّثهم بمَسِيره وبعلامة بيت المقدس وبِعِيرِهم[1].

ورَوَى الإمام أحمد في «مُسنَده» وابن أبي شيبة في «مُصَنّفه» بسند صحيح عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَمَّا كَانَ لَيْلَةُ أُسْرِيَ بِي، وَأَصْبَحْتُ

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (رقم الحديث ٣٥٤٦) وأورده الحافظ ابن كثير في تفسيره (٥/ ٢٨) وصحح إسناده، وحسنه الألباني في السلسلة الضعيفة (٤/ ٤٣٩).

بِمَكَّةَ، فَظِعْتُ بِأَمْرِي، وَعَرَفْتُ أَنَّ النَّاسَ مُكَذِّبِيَّ» فَقَعَدَ مُعْتَزِلًا حَزِينًا، قَالَ: فَمَرَّ بِهِ عَدُوُّ اللهِ أَبُو جَهْلٍ، فَجَاءَ حَتَّى جَلَسَ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ كَالْمُسْتَهْزِئِ: هَلْ كَانَ مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نَعَمْ» قَالَ: مَا هُوَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي أُسْرِيَ بِي اللَّيْلَةَ» قَالَ: إِلَى أَيْنَ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ» قَالَ: ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْنَا؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نَعَمْ» قَالَ: فَلَمْ يُرِهِ أَنَّهُ يُكَذِّبُهُ مَخَافَةَ أَنْ يَجْحَدَهُ الْحَدِيثَ إِنْ دَعَا قَوْمَهُ إِلَيْهِ، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ دَعَوْتُ قَوْمَكَ تُحَدِّثُهُمْ مَا حَدَّثْتَنِي؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نَعَمْ».

فَقَالَ: هَيَّا مَعْشَرَ بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ[1]. حَتَّى قَالَ: فَانْتَفَضَتْ إِلَيْهِ الْمَجَالِسُ وَجَاءُوا حَتَّى جَلَسُوا إِلَيْهِمَا، قَالَ: حَدِّثْ قَوْمَكَ بِمَا حَدَّثْتَنِي. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

---

(١) زاد ابن أبي شيبة في مصنَّفه: هَلُمَّ.

«إِنِّي أُسْرِيَ بِي اللَّيْلَةَ» قَالُوا: إِلَى أَيْنَ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ» قَالُوا: ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْنَا؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَعَمْ».

قَالَ: فَمِنْ بَيْنِ مُصَفِّقٍ، وَمِنْ بَيْنِ وَاضِعٍ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ، مُتَعَجِّبًا لِلكَذِبِ، قَالُوا: وَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَنْعَتَ[١] لَنَا الْمَسْجِدَ؟ وَفِي الْقَوْمِ مَنْ قَدْ سَافَرَ إِلَى ذَلِكَ الْبَلَدِ وَرَأَى الْمَسْجِدَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَذَهَبْتُ أَنْعَتُ، فَمَا زِلْتُ أَنْعَتُ حَتَّى الْتَبَسَ عَلَيَّ بَعْضُ النَّعْتِ، فَجِيءَ بِالْمَسْجِدِ[٢] وَأَنَا أَنْظُرُ، حَتَّى وُضِعَ دُونَ دَارِ عِقَالٍ، أَوْ عُقَيْلٍ، فَنَعَتُّهُ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ» فَقَالَ الْقَوْمُ: أَمَّا النَّعْتُ فَوَاللهِ لَقَدْ أَصَابَ[٣].

---

(١) النَّعت: وصفك الشيء. انظر: لسان العرب (١٤/ ١٩٧).

(٢) قال الحافظ في الفتح (٧/ ٥٩٩): وهذا أبلغ في المعجزة، ولا استحالة فيه، فقد أحضر عرش بلقيس في طرفة عين لسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو يقتضي أنه أُزيل من مكانة حتى أُحضر إليه، وما ذلك في قدرة الله بعزيز.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (رقم الحديث ٢٨١٩) وابن أبي شيبة في مصنفه (رقم الحديث ٣٢٣٥٨).

وفي رواية الإمام مسلم في صحيحه: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحِجْرِ، وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ، فَسَأَلَتْنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَمْ أُثْبِتْهَا، فَكُرِبْتُ كُرْبَةً مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ» قَالَ: «فَرَفَعَهُ اللهُ لِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ، مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ»(١).

ورَوى الإمام البخاري في صحيحه عن جابر بن عبدالله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنه سمع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «لَمَّا كَذَّبَتْنِي قُرَيْشٌ، قُمْتُ فِي الحِجْرِ، فَجَلاَ(٢) اللهُ لِي بَيْتَ المَقْدِسِ، فَطَفِقْتُ(٣) أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ»(٤).

❋❋❋

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: ذكر المسيح ابن مريم والمسح الدجال (رقم الحديث ١٧٢).

(٢) قال الحافظ في الفتح (٧/ ٥٩٩): معناه: كشف الحُجب بيني وبينه حتى رأيته.

(٣) طفق: أخذ وجعل. انظر: النهاية (٣/ ١١٨).

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب: حديث الإسراء (رقم الحديث ٣٨٨٦).

تصديق أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَسْرَى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

روَى الحاكم في «المُستدرَك» بسند ضعيف عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: لما أُسرِيَ بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المسجد الأقصى، أصبَح يَتحدَّث الناس بذلك، فارتَدَّ ناس ممَّن كانوا آمَنوا به وصدَّقوه، وسَعَوا بذلك إلى أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقالوا: هل لك إلى صاحبك! يزعُم أنه أُسرْيَ به الليلة إلى بيت المقدس! قال: أو قال ذلك؟ قالوا: نعم. قال: لَئِن كان قال ذلك لقد صَدَق. قالوا: وتُصدِّقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يُصبِح؟ قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نعم، إني لأُصدِّقه فيما هو أبعَدُ من ذلك، أصدِّقه بخبر السماء في غَدوة أو رَوحة. فلذلك سُمّي أبو بكر «الصِّدِّيقُ»[1].

وجزم الإمام الطحاوي بأن سبب تسمية أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (رقم الحديث ٤٤٥٥) وأورد طرقه الألباني في السلسلة الصحيحه (رقم الحديث ٣٠٦) ومال إلى تصحيحه.

بالصِّدِّيق لِسَبْقِه الناسَ إلى تصديق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الإسراء لبيت المقدس، فقال: ولأن السَّبْق إلى المعرفة للأشياء يُوجب الفضيلة للسابِقِين إليها، كما وجب لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بسَبْقه الناسَ إلى تصديقه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على إتيانه بيت المقدس من مكة ورجوعه منه إلى منزله بمكة في تلك الليلة، حتى سُمي بذلك «الصِّدِّيق» وإن كان المؤمنون جميعًا يَشهدون لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمثل ذلك إذا وقَفوا عليه[١].

ورَوى البيهقي في «دلائل النبوة» بسند صحيح عن شدَّاد ابن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ أُسْرِيَ بِكَ؟ قَالَ: «صَلَّيْتُ لِأَصْحَابِي صَلَاةَ الْعَتَمَةِ بِمَكَّةَ مُعْتَمًّا، وَأَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِدَابَّةٍ بَيْضَاءَ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ...» وذكَر قصة الإسراء والمعراج، ثم قال: «ثُمَّ أَتَيْتُ أَصْحَابِي قَبْلَ الصُّبْحِ بِمَكَّةَ، فَأَتَانِي أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيْنَ كُنْتَ اللَّيْلَةَ؟ فَقَدِ الْتَمَسْتُكَ فِي مَكَانِكَ. فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلِمْتَ

(١) انظر: شرح مشكل الآثار (٣/ ٣٩٤).

أَنِّي أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ اللَّيْلَةَ؟» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّهُ مَسِيرَةُ شَهْرٍ، فَصِفْهُ لِي. قَالَ: «فَفُتِحَ لِي صِرَاطٌ[(١)] كَأَنِّي أَنْظُرُ فِيهِ، لَا يَسْأَلُنِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْبَأْتُهُ عَنْهُ» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ. فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: انْظُرُوا إِلَى ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ[(٢)] يَزْعُمُ أَنَّهُ أَتَى بَيْتَ الْمَقْدِسِ اللَّيْلَةَ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنْ آيَةِ مَا أَقُولُ لَكُمْ أَنِّي مَرَرْتُ بِعِيرٍ لَكُمْ بِمَكَانِ كَذَا وَكَذَا، قَدْ أَضَلُّوا بَعِيرًا لَهُمْ، فَجَمَعَهُ فُلَانٌ، وَإِنَّ مَسِيرَهُمْ يَنْزِلُونَ بِكَذَا ثُمَّ بِكَذَا، وَيَأْتُونَكُمْ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، يَقْدُمُهُمْ جَمَلٌ آدَمُ[(٣)] عَلَيْهِ مِسْحٌ أَسْوَدُ وَغِرَارَتَانِ سَوْدَاوَانِ» فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمُ أَشْرَفَ النَّاسُ يَنْتَظِرُونَ، حَتَّى كَانَ قَرِيبٌ مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ، حَتَّى أَقْبَلَتِ الْعِيرُ، يَقْدُمُهُمْ ذَلِكَ الْجَمَلُ الَّذِي وَصَفَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[(٤)].

---

(١) الصراط: الطريق. انظر: لسان العرب (٧/ ٣٢٦).

(٢) يعنُون بذلك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(٣) الآدم: الأسمر. انظر: لسان العرب (١/ ٩٧).

(٤) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٣٥٦ - ٣٥٧) وقال: إسناده صحيح.
قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٥/ ٢٧): ولا شك أن هذا الحديث =

قال الحافظ ابن كثير: وقد عايَن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تلك الليلة من الآيات والأمور التي لو رآها أو بعضها غيره لأصبح مندهشًا أو طائش العقل، ولكنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصبح ساكنًا، يَخشى إن بَدَأ فأخبَرَ قومه بما رأى أن يُبادِروا إلى تكذيبه، فتلطَّف بإخباهم أولًا بأنه جاء بيت المقدس في تلك الليلة[١].

❊❊❊

= - أعني الحديث المروي عن شداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مشتمل على أشياء منها ما هو صحيح كما ذكره البيهقي، ومنها ما هو منكر، كسؤال الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن نعت بيت المقدس، وغير ذلك، والله أعلم.

(١) انظر: البداية والنهاية (٣/ ١٢٣).

نزول الوحي لبيان المواقيت

قال الإمام القرطبي: ولم يَختلفوا في أن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ هبَط صَبِيحة ليلة الإسراء عند الزوال، فعلَّم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصلاة ومواقيتها[١].

وقال الحافظ ابن كثير: فلما كان ليلة الإسراء قبل الهجرة بسنة ونصف[٢] فَرَض الله على رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصلوات الخمس، وفَصَّل شروطها وأركانها وما يتعلق بها بعد ذلك شيئًا فشيئًا، والله أعلم[٣].

ورَوَى الشيخان في صحيحَيهما عن ابن شهاب أن عمر بن عبدالعزيز أَخَّر الصلاة يومًا، فدخل عليه عروة بن الزبير فأخبره أن المغيرة بن شعبة أَخَّر الصلاة يومًا وهو بالعراق[٤] فدخل عليه أبو مسعود الأنصاري فقال: ما هذا

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٣/ ١٤).
(٢) ذكرتُ فيما تقدم بأنه لم يثبت شيء في تحديد وقت الإسراء والمعراج.
(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ١٦٤).
(٤) في رواية الإمام مسلم: بالكوفة.

يا مغيرة؟ أليس قد عَلِمْتَ أن جبريل، صلوات الله وسلامه عليه، نزَل فصلَّى، فصلَّى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم صلَّى، فصلَّى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم صلَّى، فصلَّى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم صلَّى، فصلَّى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم صلَّى، فصلَّى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم قال: «بِهَذَا أُمِرْتُ»[1].

وروَى الإمام أحمد في «مُسنَده» والحاكم في «مُستدرَكه» بسند صحيح عن جابر بن عبدالله الأنصاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ زَالَتِ الشَّمْسُ، فَقَالَ: «قُمْ يَا مُحَمَّدُ فَصَلِّ الظُّهْرَ» فَقَامَ فَصَلَّى الظُّهْرَ حِينَ زَالَتِ الشَّمْسُ، ثُمَّ مَكَثَ حَتَّى كَانَ فَيْءُ الرَّجُلِ لِلْعَصْرِ مِثْلَهُ، فَجَاءَ فَقَالَ: «قُمْ يَا مُحَمَّدُ فَصَلِّ الْعَصْرَ» فَقَامَ فَصَلَّى الْعَصْرَ، ثُمَّ مَكَثَ حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ فَقَالَ: «قُمْ فَصَلِّ الْمَغْرِبَ»

---

(١) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٥/ ٩١): (أُمرت) رُوي بضم التاء وفتحها، وهما ظاهران.

والحديث أخرجه البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب: مواقيت الصلاة وفضلها (رقم الحديث ٥٢١) ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب: أوقات الصلوات الخمس (رقم الحديث ٦١٠/ ١٦٧).

فَقَامَ فَصَلَّاهَا حِينَ غَابَتِ الشَّمْسُ سَوَاءٌ، ثُمَّ مَكَثَ حَتَّى ذَهَبَ الشَّفَقُ فَجَاءَهُ فَقَالَ: «قُمْ فَصَلِّ الْعِشَاءَ» فَقَامَ فَصَلَّاهَا، ثُمَّ جَاءَهُ حِينَ صَدَعَ الْفَجْرُ بِالصُّبْحِ[1] فَقَالَ: «قُمْ يَا مُحَمَّدُ فَصَلِّ» فَقَامَ فَصَلَّى الصُّبْحَ، ثُمَّ جَاءَهُ مِنَ الْغَدِ حِينَ كَانَ فَيْءُ الرَّجُلِ مِثْلَهُ فَقَالَ: «قُمْ يَا مُحَمَّدُ فَصَلِّ الظُّهْرَ» فَقَامَ فَصَلَّى الظُّهْرَ، ثُمَّ جَاءَهُ حِينَ كَانَ فَيْءُ الرَّجُلِ مِثْلَيْهِ فَقَالَ: «قُمْ يَا مُحَمَّدُ فَصَلِّ الْعَصْرَ» فَقَامَ فَصَلَّى الْعَصْرَ، ثُمَّ جَاءَهُ الْمَغْرِبَ حِينَ غَابَتِ الشَّمْسُ، وَقْتًا وَاحِدًا لَمْ يَزُلْ عَنْهُ، فَقَالَ: «قُمْ فَصَلِّ الْمَغْرِبَ» فَصَلَّى الْمَغْرِبَ، ثُمَّ جَاءَهُ الْعِشَاءَ حِينَ ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلُ فَقَالَ: «قُمْ فَصَلِّ» فَصَلَّى الْعِشَاءَ، ثُمَّ جَاءَهُ الصُّبْحَ حِينَ أَسْفَرَ جِدًّا فَقَالَ: «قُمْ فَصَلِّ الصُّبْحَ» ثُمَّ قَالَ: «مَا بَيْنَ هَذَيْنِ كُلُّهُ وَقْتٌ»[2].

❊❊❊

(١) يعني: انشقّ عنه الليل. انظر: لسان العرب (٧/ ٣٠٣).
(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (رقم الحديث ١٤٥٣٨) والحاكم في المستدرك (رقم الحديث ٧٠٧).

انشقاق القمر

قال الحافظ ابن كثير: وهذا أمر متفَق عليه بين العلماء أن انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات[(١)].

وروَى الشيخان في صحيحَيهما عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إن أهل مكة سألوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يُرِيَهُم آيَةً، فأَرَاهُم القَمَرَ شِقَّيْنِ، حتى رأَوا حِرَاءً[(٢)] بَيْنَهُما[(٣)].

وروَى الشيخان في صحيحَيهما عن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: انشَقّ القمرُ، ونحن مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمِنًى، فقال: «اشْهَدُوا» وذهَبَت فِرْقة نحوَ الجبَل[(٤)].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٤٧٢).

(٢) حِراء: جبل معروف بمكة. انظر: النهاية (١/ ٣٦٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب: انشقاق القمر (رقم الحديث ٣٨٦٨) ومسلم في صحيحه، كتاب صفات المنافقين، باب: انشاق القمر (رقم الحديث ٢٨٠٢).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب: انشقاق القمر (رقم الحديث ٣٨٦٩) ومسلم في صحيحه، كتاب صفات المنافقين، باب: انشقاق القمر (رقم الحديث ٢٨٠٠/ ٤٤).

قال الحافظ في الفتح: وهذا لا يُعارِض قولَ أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن ذلك كان بمكة، لأنه لم يُصرِّح بأن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كان لَيْلَتَئِذٍ بمكة، وعلى تقدير تصريحه فمِنًى من جُملة مكة، فلا تعارُض[1].

وروَى الطيالسي في «مُسنَده» بسند صحيح عن عبدالله ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: انشقّ القمرُ على عهد رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقالت قريش: هذا سِحْرُ ابن أبي كَبْشَةَ! وقالوا: انتَظِرُوا ما يأتيكم به السُّفَّار[2] فإن محمدًا لا يستطيع أن يَسْحَرَ الناسَ كلهم! قال: فجاء السُّفَّار فقالوا ذلك[3] وأنزل الله في ذلك قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ① وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ②﴾[4].

---

(١) انظر: فتح الباري (٧/ ٥٧٩).
(٢) السُّفَّار: المسافرون. انظر: النهاية (٢/ ٣٣٥).
(٣) أخرجه الطيالسي في مسنده (رقم الحديث ٢٩٣) وأخرجه مختصرًا الطحاوي في شرح مشكل الآثار (رقم الحديث ٦٩٧).
(٤) سورة القمر الآيتان (١-٢).

عَرْضُ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَفْسَه على قبائل العرب

قال ابن إسحاق: ثم قَدِمَ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكة[١] وقومه أشدُّ ما كانوا عليه مِن خِلافه وفِراق دِينه، إلا قليلًا مستضعَفِين ممَّن آمن به، فكان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعرِض نفسه في المواسم[٢] - إذا كانت - على قبائل العرب، يدعوهم إلى الله، ويُخبِرهم أنه نبي مُرسَل، ويَسألهم أن يُصدّقوه ويَمنَعوه حتى يُبيِّن عن الله ما بعثه به[٣].

ورَوى الإمام أحمد في «مُسنَده» بسند صحيح عن جابر ابن عبدالله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: مكَث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمكة عشر سنين يَتَّبعُ الناسَ في منازلهم، بعُكَاظَ ومِجَنَّةَ، وفي المواسم بمِنًى، يقول: «مَن يُؤْوِيني؟ مَن ينصُرُني حتى أُبلِّغ رسالة ربي وله الجنة»[٤].

---

(١) وذلك بعد رجوعه من الطائف.

(٢) أي: مواسم الحج.

(٣) انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٣٥).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (رقم الحديث ١٤٤٥٦).

وروَى أبو داود والترمذي وابن ماجه، بسند صحيح، عن جابر بن عبدالله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْرِض نفسَه على الناس بالموقف فيقول: «أَلَا رَجُلٌ يَحْمِلُنِي إلى قَوْمِهِ؛ فإنَّ قريشًا قد مَنَعُونِي أن أُبَلِّغَ كَلَام رَبِّي عَزَّوَجَلَّ»[(١)].

***

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب: في القرآن (رقم الحديث ٤٧٣٤) والترمذي في جامعه، كتاب فضائل القرآن، باب: ما جاء كيف كانت قراءة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (رقم الحديث ٣١٥٢) وابن ماجه في سننه (رقم الحديث ٢٠١).

إسلام إياس بن مُعاذ الأَشْهَلِيّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ

أسلَم إيَاس بن مُعَاذ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وهو أول مَن أسلَم من الأنصار مطلقًا.

وقصة إسلامه رواها الإمام أحمد في «المُسنَد» والحاكم في «المُستدرَك» بسند حسن، عن محمود بن لَبيد، أخي بني عبد الأشهَل، قال: لمّا قَدِم أبو الحَيْسَر أنَس بن رافع مكة، ومعه فِتية من بني عبد الأشهَل، فيهم إيَاس بن مُعَاذ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يَلتَمِسون الحِلف من قريش على قومهم من الخزرج، فسَمِع بهم رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فأتاهم فجلَس إليهم، فقال: «هَلْ لَكُمْ إِلَى خَيْرٍ مِمَّا جِئْتُمْ لَهُ؟» قالوا: وما ذاك؟ قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «أَنَا رَسُولُ اللهِ، بَعَثَنِي إِلَى الْعِبَادِ أَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يَعْبُدُوا اللهَ لَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأُنْزِلَ عَلَيَّ كِتَابٌ» ثم ذكَر لهم الإسلام وتَلَا عليهم القرآن، فقال إيَاس بن مُعَاذ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكان غلامًا حَدَثًا: أيْ قومِ، هذا والله خير مما جئتم له. قال: فأخذ أبو الحَيْسَر حَفنة من البَطْحاء[1] فضرَب بها وجه إيَاس بن مُعَاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقال: دَعْنَا منك، فلَعَمْري لقد جئنا لِغَير هذا! فصمَت إيَاس، فقام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فانصَرَفوا إلى المدينة، فكانت وقعة بُعَاث[2] بين الأوس والخزرج. قال: ثم لم يَلْبَث إيَاس بن مُعَاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن هلَك. قال محمود بن لَبيد: فأخبَرَني مَن حضَره من قومي عند موته أنهم لم يَزالوا يَسمعونه يُهلِّل الله ويُكبِّره ويَحمَده ويُسبِّحه

(١) البطحاء: الحصى الصغار. انظر: النهاية (١/ ١٣٤).

(٢) قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٣/ ١٦٠): كان يوم بُعاث - وبُعاث موضع بالمدينة - كانت فيه وقعة عظيمة قُتِلَ فيها خلق من أشراف الأوس والخزرج وكبرائهم، ولم يبق من شيوخهم إلا القليل، وقد روى الإمام البخاري في صحيحه (رقم الحديث ٣٧٧٧) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كان يوم بُعاث يومًا قدَّمه الله لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقَدِم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد افترق ملأُهم، وقُتلت سَرَواتهم وجُرحوا، فقدَّمه الله لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في دخولهم في الإسلام.

سَرَوَاتهم: خِيَارهم. انظر: لسان العرب (٦/ ٢٥٠).

حتى مات، فما كانوا يشكُّون أن قد مات مُسْلِمًا، لقد كان استَشْعَرَ الإسلام في ذلك المجلس حين سَمِع من رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما سَمِع[1].

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (رقم الحديث ٢٣٦١٩) والحاكم في المستدرك (رقم الحديث ٤٨٩١).

بَدء إسلام الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

فلما أراد الله عَزَّوَجَلَّ إظهار دينه وإعزاز نبيِّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإنجاز موعده له، خرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المَوْسِم، كما كان يَصنَع في كل مَوْسِم، فبينما هو عند العقبة لَقِيَ رَهْطًا من الخزرج أراد الله بهم خيرًا، فقال لهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَن أنتم؟» قالوا: نفر من الخزرج. فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمِنْ مَوَالِي[1] يَهُودَ؟» قالوا: نعم. فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَفَلَا تَجْلِسُونَ أُكَلِّمُكُمْ؟» قالوا: بلى.

فجلَسوا معه، فدعاهم إلى الله عَزَّوَجَلَّ وعرَض عليهم الإسلام، وتَلَا عليهم القرآن، وكان مما صنَع الله بهم في الإسلام أن يَهُودَ كانوا معهم في بلادهم، وكانوا أهل كتاب وعِلم، وكانوا هُم[2] أهل شِرك وأصحاب أوثان، وكانوا قد

(١) قال السُّهَيلي في الروض الأُنُف (٢/ ٢٤٦): أي من حُلفائهم.

(٢) أي الأوس والخزرج.

عزُّوهم[١] ببلادهم، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم: إن نبيًّا مبعوثًا الآن قد أظَلَّ زمانه، نتَّبِعُه فنقتُلُكم معه قَتْلَ عادٍ وإِرَمَ[٢].

فلما كلَّم رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أولئك النفَرَ ودعَاهم إلى الله، قال بعضهم لبعض: يا قومُ، تعلَمون واللهِ إنه لَلنَّبيُّ الذي توعَّدَكم به يَهُودُ، فلا تَسْبِقُنَّكُم إليه، فأجابوه فيما دعَاهم إليه، بأن صَدَّقوه وقَبِلُوا منه ما عرَض عليهم من الإسلام.

وكان هؤلاء النفر من الخزرج من عُقلاء يَثْرِب، أنهَكَتْهم الحرب الأهلية التي مضَت من قريب[٣] والتي لا يَزال لَهِيبها مُستَعِرًا، فأمَّلُوا أن تكون دعوته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سببًا لوضع الحرب.

---

(١) عزُّوهم: أي غلبوهم. انظر: لسان العرب (٩/ ١٨٧).

(٢) ذكر الله سبحانه في كتابه الكريم هذا التوعد الذي وقع من اليهود تجاه الأوس والخزرج، فقال تعالى في سورة البقرة آية (٨٩): ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾.
يَستَفتِحون: يعني يَستنصِرون. انظر: النهاية (٣/ ٣٦٥).

(٣) هي حرب بُعاث.

فقالوا لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنا قد ترَكْنا قومنا، ولا قومَ بينَهم من العداوة والشر ما بينَهم، فعسى أن يَجمَعهم الله بك، فسنَقْدُم عليهم فنَدْعُوهم إلى أمرك، ونَعْرِض عليهم الذي أَجَبْناك إليه من هذا الدين، فإن يَجْمَعْهم الله عليه فلا رَجُلَ أعَزُّ منك، ثُمَّ انْصَرَفُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَاجِعِينَ إِلَى بِلَادِهِمْ، وَقَدْ آمَنُوا وَصَدَّقُوا[1].

❋❋❋

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٤٢).

﴿ أسماء رَهْط الخزرج الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾

وكان هؤلاء الرَّهْط الكِرَام ستة نفَر من الخزرج، فيما ذكَره ابن إسحاق، وهُمْ:

*** من بني النجار:**

١) أسعد بن زُرَارة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٢) عوف بن الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وهو ابن عَفْرَاء، وهي أُمُّه.

*** ومن بني زُرَيق:**

٣) رافع بن مالك بن العَجْلان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

*** ومن بني سَلِمَة[١]:**

٤) قُطْبَة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

*** ومن بني حَرَام بن كعب:**

٥) عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

---

(١) قال ابن إسحاق في السيرة (٢/ ٤٦): سَلِمة بلام مكسورة.

*** ومن بني عُبَيد بن عَدِيّ:**

٦) جابر بن عبدالله بن رِئَاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وليس هو جابر بن عبدالله بن عمرو بن حَرَام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ المشهور، أحد المُكْثِرِين من الحديث عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[١].

❊❊❊

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٤٢).

بيعة العقبة الأولى

فلما رجَع هؤلاء النفر الستة إلى المدينة ذكَروا لقومهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودعَوهم إلى الإسلام حتى فَشَا[1] فيهم، فلم تَبْقَ دار من دُور الأنصار إلا ذُكِرَ فيها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فروى الإمام أحمد في «مُسنَده» بسند صحيح عن جابر ابن عبدالله الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: ... حَتَّى بَعَثَنَا اللهُ لَهُ مِنْ يَثْرِبَ، فَآوَيْنَاهُ وَصَدَّقْنَاهُ، فَيَخْرُجُ الرَّجُلُ مِنَّا فَيُؤْمِنُ بِهِ وَيُقْرِئُهُ الْقُرْآنَ، فَيَنْقَلِبُ[2] إِلَى أَهْلِهِ فَيُسْلِمُونَ بِإِسْلَامِهِ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ إِلَّا وَفِيهَا رَهْطٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُظْهِرُونَ الْإِسْلَامَ[3].

(١) فشا: انتشر وذاع. انظر: لسان العرب (١٠/ ٢٦٩).
(٢) الانقلاب: الرجوع. انظر: النهاية (٤/ ٨٥).
(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (رقم الحديث ١٤٤٥٦).

حتى إذا كان العام المقبل وافَى[1] مَوْسِم الحج من الأنصار اثنا عشر رجلًا، اثنان من الأوس، وعشَرة من الخزرج، فيهم خمسة من الستة الذين اجتمعوا برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في العام السابق، وهم:

* من الخزرج: من بني النجار:

١) أسعد بن زُرارة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

٢) عوف بن الحارث. وهو ابن عَفْرَاء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

٣) معاذ بن الحارث. وهو ابن عَفْرَاء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

* ومن بني زُرَيق:

٤) رافع بن مالك بن العَجْلان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

٥) ذَكْوَان بن عبدِ قَيْس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

* ومن بني عوف بن الخزرج:

٦) عُبادة بن الصامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

---

(١) وافَى: أتَى. انظر: لسان العرب (١٥/ ٣٥٩).

٧) يزيد بن ثعلبة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

*** ومن بني سالم بن عوف:**

٨) العباس بن عبادة بن نَضْلة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

*** ومن بني سَلِمة:**

٩) عقبة بن عامر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

*** ومن بني سَوَاد بن غَنْم:**

١٠) قَطْبة بن عامر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

*** ومن الأوس: من بني عبد الأشهَل:**

١١) أبو الهيثم مالك بن التَّيِّـهَان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

*** ومن بني عمرو بن عوف:**

١٢) عُوَيم بن ساعدة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[(١)].

❋❋❋

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٤٤-٤٦).

بنود بيعة العقبة الأولى

روى الشيخان في صحيحَيهما عن عُبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَالْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ، وَعَلَى أَثَرَةٍ[(١)] عَلَيْنَا، وَعَلَى أَلَّا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، وَعَلَى أَنْ نَقُولَ بِالْحَقِّ أَيْنَمَا كُنَّا، لَا نَخَافُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ[(٢)].

ورَوى البيهقي في «دلائل النبوة» بسند جيد عن عُبادة ابن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إِنَّا بَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) الأثرة بفتح الهمزة والثاء: الاسم من: آثر يؤثر إيثارًا، إذا أعطى، أراد أنه يُستأثر عليكم فيُفضَّل غيركم في نصيبه من الفيء، والاستئثار الانفراد بالشيء. انظر: النهاية(١/ ٢٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب: قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ستَرَون بعدي أمورًا تُنكرونها» (رقم الحديث ٧٠٥٥ ، ٧٠٥٦) ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية (رقم الحديث ١٧٠٩).

عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ، وَالنَّفَقَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَعَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَعَلَى أَنْ نَقُولَ فِي اللهِ لَا تَأْخُذُنَا فِيهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ، وَعَلَى أَنْ نَنْصُرَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَدِمَ عَلَيْنَا يَثْرِبَ بِمَا نَمْنَعُ مِنْهُ أَنْفُسَنَا وَأَزْوَاجَنَا وَأَبْنَاءَنَا، وَلَنَا الْجَنَّةُ. فَهَذِهِ بَيْعَةُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَايَعْنَاهُ عَلَيْهَا(١).

* وَهْم مشهور:

قلت: وأما وصف بيعة العقبة الأولى على مثل ما بايَع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النساء، فهو وَهْمٌ من بعض الرواة، فلم يكن في بيعة العقبة الأولى ذِكْرٌ للنساء، ولا في بنودها(٢).

***

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٤٥٢) وأورده الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٣/ ١٧٧) وقال: وهذا إسناد جيد قوي.

(٢) ذكرتُ ذلك مفصلاً في اللؤلؤ المكنون (١/ ٥٦٠-٥٦٦).

بَعْثُ مُصْعَب وابن أُمّ مَكْتوم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إلى المدينة

انتهى مَوْسِم الحج، وانصرف القوم راجِعين إلى بلادهم، وبعَث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معهم مُصْعَب بن عُمَير وابن أمّ مَكْتوم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وأمَرهما أن يُقرِئا الأنصار القرآن، ويُعلِّما الإسلام، ويُفقِّها في الدين.

روى الإمام البخاري في «صحيحه» عن البَرَاء بن عازب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أول مَن قَدِم علينا من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُصْعَب بن عُمَير وابن أمّ مَكْتوم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فجعَلَا يُقرِئَانِنا القرآن[1].

فأسلَم على يَدَيهما بشَرٌ كثير من الأوس والخزرج، منهم: سعد بن مُعَاذ وأُسَيد بن حُضَير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وبإسلامهما يومئذ

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ۝١٩﴾ (رقم الحديث ٤٩٤١).

أسلَم جميع بني عبد الأشهَلِ الرجال والنساء، إلا الأُصَيْرِمَ عَمرو بن ثابت بن وَقْش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فإنه تأخَّر إسلامه إلى يوم أُحُدٍ فأسلَمَ حينئذ، وقاتَل، فاستُشهِد يوم أُحُد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولم يسجُد لله سجدة، فأُخبِر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنه، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنه لَمِن أهل الجنة»[1].

❋❋❋

(١) أخرج قصة الأُصَيْرِم عمرو بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الإمام أحمد في مسنده (رقم الحديث ٢٣٦٣٤) وأوردها الحافظ في الإصابة (٤/ ٥٠١) وحسن إسنادها.

بيعة العقبة الثانية

قال جابر بن عبدالله الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ثم بَعَثَنا اللهُ، فَأْتَمَرْنَا، وَاجْتَمَعْنَا سَبْعُونَ رَجُلًا مِنَّا، فَقُلْنَا: حَتَّى مَتَى نَذَرُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُطْرَدُ فِي جِبَالِ مَكَّةَ وَيَخَافُ! فَرَحَلْنَا حَتَّى قَدِمْنَا عَلَيْهِ فِي الْمَوْسِمِ، فَوَاعَدْنَاهُ شِعْبَ الْعَقَبَةِ[١].

وروَى تفاصيل هذه البيعة العظيمة التي كانت سببًا في الهجرة إلى المدينة الإمامُ أحمد في «مُسنَده» وابن حبان في «صحيحه» بسند حسن عن كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: خَرَجْنَا فِي حُجَّاجِ قَوْمِنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَقَدْ صَلَّيْنَا وَفَقِهْنَا، وَمَعَنَا الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ كَبِيرُنَا وَسَيِّدُنَا، فَلَمَّا تَوَجَّهْنَا لِسَفَرِنَا وَخَرَجْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ. قال: فَخَرَجْنَا نَسْأَلُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكُنَّا لَا نَعْرِفُهُ لَمْ نَرَهُ قَبْلَ ذَلِكَ، فَلَقِيَنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فَسَأَلْنَاهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: هَلْ

---

(١) أخرج ذلك الإمام أحمد في مسنده (رقم الحديث ١٤٦٥٣) وإسناده حسن.

تَعْرِفَانِهِ؟ قَالَ: قُلْنَا: لَا. قَالَ: فَهَلْ تَعْرِفَانِ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَمَّهُ؟ قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: وَكُنَّا نَعْرِفُ الْعَبَّاسَ، كَانَ لَا يَزَالُ يَقْدَمُ عَلَيْنَا تَاجِرًا. قَالَ: فَإِذَا دَخَلْتُمَا الْمَسْجِدَ[1] فَهُوَ الرَّجُلُ الْجَالِسُ مَعَ الْعَبَّاسِ.

فَدَخَلْنَا الْمَسْجِدَ فَإِذَا الْعَبَّاسُ جَالِسٌ، وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَهُ جَالِسٌ فَسَلَّمْنَا، ثُمَّ جَلَسْنَا إِلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْعَبَّاسِ: «هَلْ تَعْرِفُ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ يَا أَبَا الْفَضْلِ؟» قَالَ: نَعَمْ، هَذَا الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ سَيِّدُ قَوْمِهِ، وَهَذَا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ. قَالَ: فَوَاللهِ مَا أَنْسَى قَوْلَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الشَّاعِرُ؟» قال: نعم.

قال كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَوَاعَدْنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَقَبَةَ مِنْ أَوْسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ، فَلَمَّا فَرَغْنَا مِنَ الْحَجِّ، وَكَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي وَعَدْنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَنَا عَبْدُاللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ أَبُو جَابِرٍ سَيِّدٌ مِنْ سَادَتِنَا، وَكُنَّا نَكْتُمُ مَنْ مَعَنَا مِنْ

(١) يعني المسجد الحرام.

قَوْمِنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمْرَنَا، فَكَلَّمْنَاهُ وَقُلْنَا لَهُ: يَا أَبَا جَابِرٍ، إِنَّكَ سَيِّدٌ مِنْ سَادَتِنَا، وَشَرِيفٌ مِنْ أَشْرَافِنَا، وَإِنَّا نَرْغَبُ بِكَ عَمَّا أَنْتَ فِيهِ أَنْ تَكُونَ حَطَبًا لِلنَّارِ غَدًا! ثُمَّ دَعَوْتُهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبَرْتُهُ بِمِيعَادِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْلَمَ وَشَهِدَ مَعَنَا الْعَقَبَةَ، وَكَانَ نَقِيبًا.

قَالَ: فَنِمْنَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ مَعَ قَوْمِنَا فِي رِحَالِنَا، حَتَّى إِذَا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ خَرَجْنَا مِنْ رِحَالِنَا لِمِيعَادِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَتَسَلَّلُ مُسْتَخْفِينَ تَسَلُّلَ الْقَطَا، حَتَّى اجْتَمَعْنَا فِي الشِّعْبِ عِنْدَ الْعَقَبَةِ، وَنَحْنُ سَبْعُونَ رَجُلا[١] وَمَعَنَا امْرَأَتَانِ مِنْ نِسَائِهِمْ: نَسِيبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ أُمُّ عُمَارَةَ، إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي مَازِنِ بْنِ النَّجَّارِ، وَأَسْمَاءُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ، إِحْدَى نِسَاءِ

---

(١) في رواية ابن إسحاق في السيرة (٢/ ٥٤): ثلاثة وسبعون رجلاً.
قال ابن سيد الناس في عيون الأثر (١/ ٢٧٧): وهذه تسمية من شهد العقبة، وكانوا ثلاثة وسبعين رجلًا وامرأتين، هذا هو العدد المعروف، وإن زاد في التفصيل على ذلك، فليس ذلك بزيادة في الجملة، وإنما هو لمحل الخلاف فيمن شهد، فبعض الرواة يثبته، وبعضهم يُثبت غيره بدله، وقد وقع ذلك في غير موضع، في أهل بدر وشهداء أُحُد، وغير ذلك.

بَنِي سَلِمَةَ، وَهِيَ أُمُّ مَنِيعٍ.

قَالَ: فَاجْتَمَعْنَا بِالشِّعْبِ نَنْتَظِرُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى جَاءَنَا وَمَعَهُ يَوْمَئِذٍ عَمُّهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ، إِلَّا أَنَّهُ أَحَبَّ أَنْ يَحْضُرَ أَمْرَ ابْنِ أَخِيهِ وَيَتَوَثَّقُ لَهُ، فَلَمَّا جَلَسْنَا كَانَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَوَّلَ مُتَكَلِّمٍ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْخَزْرَجِ - وَكَانَتِ الْعَرَبُ مِمَّا يُسَمُّونَ هَذَا الْحَيَّ مِنَ الْأَنْصَارِ الْخَزْرَجَ؛ أَوْسَهَا وَخَزْرَجَهَا - إِنَّ مُحَمَّدًا مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتُمْ، وَقَدْ مَنَعْنَاهُ مِنْ قَوْمِنَا مِمَّنْ هُوَ عَلَى مِثْلِ رَأْيِنَا فِيهِ، وَهُوَ فِي عِزٍّ مِنْ قَوْمِهِ، وَمَنَعَةٍ فِي بَلَدِهِ.

فَقُلْنَا: قَدْ سَمِعْنَا مَا قُلْتَ، فَتَكَلَّمْ يَا رَسُولَ اللهِ، فَخُذْ لِنَفْسِكَ، وَلِرَبِّكَ مَا أَحْبَبْتَ، فَتَكَلَّمَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَلَا، ودَعَا إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ورَغَّبَ فِي الإِسْلَامِ، ثُمَّ قَالَ: «أُبَايِعُكُمْ عَلَى أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ».

فَأَخَذَ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بيَدِهِ ثُمَّ قَالَ: نَعَمْ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَنَمْنَعَنَّكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أُزُرَنَا[1]. فَبَايِعْنَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَنَحْنُ أَهْلُ الْحُرُوبِ وَأَهْلُ الْحَلْقَةِ[2] وَرِثْنَاهَا كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ[3].

وفي رواية جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في «مُسنَد» الإمام أحمد وصحيح ابن حبان بسند حسن، قال جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

فَرَحَلْنَا حَتَّى قَدِمْنَا عَلَيْهِ فِي الْمَوْسِمِ، فَوَاعَدْنَاهُ شِعْبَ الْعَقَبَةِ، فَقَالَ عَمُّهُ الْعَبَّاسُ: يَا بْنَ أَخِي، إِنِّي لَا أَدْرِي مَا هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ الَّذِينَ جَاءُوكَ! إِنِّي ذُو مَعْرِفَةٍ بِأَهْلِ يَثْرِبَ. فَاجْتَمَعْنَا عِنْدَهُ مِنْ رَجُلٍ وَرَجُلَيْنِ، فَلَمَّا نَظَرَ الْعَبَّاسُ فِي وُجُوهِنَا قَالَ: هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا أَعْرِفُهُمْ، هَؤُلَاءِ أَحْدَاثٌ[4].

---

(١) أُزُرنا: أي نساءنا وأهلنا. كنَّى عنهن بالأزر. وقيل أراد: أنفسنا. وقد يُكنى عن النفس بالإزار. انظر: النهاية (١/ ٤٧).

(٢) الحَلْقة، بسكون اللام: السلاح عامة. انظر: النهاية (١/ ٤١٠).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (رقم الحديث ١٥٧٩٨) وابن حبان في صحيحه (رقم الحديث ٧٠١١).

(٤) حداثة السن كناية عن الشباب وأول العمر. انظر: النهاية (١/ ٣٣٨).

فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، عَلَامَ نُبَايِعُكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تُبَايِعُونِي عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ، وَعَلَى النَّفَقَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَعَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَعَلَى أَنْ تَقُولُوا فِي اللهِ لَا تَأْخُذُكُمْ فِيهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ، وَعَلَى أَنْ تَنْصُرُونِي إِذَا قَدِمْتُ يَثْرِبَ، فَتَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَأَزْوَاجَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ، وَلَكُمُ الْجَنَّةُ» قال جابِرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَقُمْنَا نُبَايِعُهُ[(١)].

ورَوى الإمام أحمد في «مُسنَده» بسند حسن عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان العباسُ آخِذًا بِيَدِ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورسولُ الله يُواثِقُنا، فَلَمَّا فَرَغْنَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَخَذْتُ، وَأَعْطَيْتُ»[(٢)].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (رقم الحديث ١٤٦٥٣) وابن حبان في صحيحه (رقم الحديث ٧٠١٢).

(٢) قال السندي في شرحه للمسند (٨/ ١٢١): قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أخذتُ وأعطيتُ» على صيغة المتكلم، أي أخذتُ البيعة عنكم، أي قبلتها، وأعطيتكم الجنة عليها جزاء.

والحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده (رقم الحديث ١٥٢٥٩).

وروَى الحاكم في «المُستدرَك» بسند رجالُه ثقاتٌ، عن ابن شهاب الزُّهْري قال: كان بينَ ليلة العقبة وبينَ مُهَاجَر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاثةُ أشهر، أو قريبٌ منها، وكانت بيعة الأنصارِ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة العقبة في ذي الحِجّة، وقَدِم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة في شهر ربيع الأول[1].

تمَّت الفترة المكية من (**المختصر في السيرة النبوية**) بفضل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عصر يوم الإثنين ٩ شوال ١٤٤١هـ - ١ يونيو ٢٠٢٠م، وسيتبعه القسم الثاني ويبدأ من الهجرة إلى وفاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

❊❊❊

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (رقم الحديث ٤٢٩٨).

الفهرس

❊❊❊

التصميم الداخلي للكتاب
ثروت سلطان
Tharwat Sultan
للتواصل:
00201019530152
TharwatSultan@yahoo.com